زبدة الحقائق

تحقيق

محمد رستم

LIBRARY OF ARABIC LITERATURE
المكتبة العربية

زبدة الحقائق

عين القضاة

تحقيق

محمد رستم

تُطلب النسخة الكاملة للشراء —
بنصّ الكتاب المحقّق مع الترجمة الإنجليزيّة والمقدّمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والحواشي والمصادر —
من المكتبة العربية
(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربيّة التي أُنشِئَت بموجب منحة مقدَّمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربيّ باللغتين العربيّة والإنجليزيّة. إذ تُعِدُّ مجموعة من الباحثين المرموقين في مجال الدراسات العربيّة والإسلاميّة النصوص بحيث يُعرض المتن العربيّ المحقّق وترجمته الإنجليزيّة في صفحات متقابلة من المجلّد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربيّة إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدثها إلى مستهلّ العصر الحديث. وتضمّ المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه والفقه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعيّة وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصّة والحكاية.

تدير المكتبةَ العربيّة مجموعةٌ من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محرّرًا عامًّا، وجيمس مونتغمري، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة كامبريدج، وشوكت محمود تراوا، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة ييل، اللذان يعملان محرّرين تنفيذيّين، وتضمّ لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فخر الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برينستون)، ومايا كسرواني (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإيناس خنسه (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمّد رستم (جامعة كارلتون). ويشترك المحرّرون في اختيار النصوص وتفويض المترجمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائيّ للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسّسون للجنة التحرير – جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كوبرسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوارت

(جامعة إيموري) - محرّرين استشاريّين، وذلك من خلال تقديم النصح والإرشاد للسلسلة بشكلٍ عامّ.

تُعدّ المكتبة العربيّة الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبرى تضمّ نصوصاً عربيّة ذات قيمة مرجعيّة تصاحبها ترجمات إنجليزيّة تتّصف بحداثة الصياغة وسلاسة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلّاب وجمهور القرّاء غير المتخصّصين بموروث الأدب العربيّ.

كلمة عن إثبات النص العربي

يستند النصّ العربيّ إلى طبعة المراغة الشهيرة التي نشرها نصر الله بورجوادي، العالم الإيرانيّ الكبير والمتخصّص في الدراسات الصوفيّة. ولمّا كان نصّ طبعة المراغة بحاجةٍ إلى تصحيح، اعتمدتُ على مخطوطين آخرين مهمّين، فضلاً عن نسخة عفيف عسيران. ولقد ذكرتُ تفاصيل هذه النصوص في مقدّمتي للترجمة الإنجليزيّة.

رموز الاختصار:

أ مخطوط المراغة (الأصل). تاريخه ٥٩٦/١١٩٩ أو ٥٩٧/١٢٠٠.

ج مخطوط جار الله (إسطنبول). تاريخه ٦٦٩/١٢٧٠.

م مخطوط مجلس رقم ١٠١٩٠ (طهران). تاريخه ١٠٤٧/١٦٣٧.

ع طبعة عسيران (طهران، أعيد طبعها عام ١٩٩٤م).

المحتويات

مقدّمة في بيان الباعث الأصليّ على إملاء هذه اللمعة ١٣
فصل ١ ١٩
فصل ٢ ٢٠
فصل ٣ ٢٢
فصل ٤ ٢٣
فصل ٥ ٢٤
فصل ٦ ٢٥
فصل ٧ ٢٥
فصل ٨ ٢٦
فصل ٩ ٢٧
فصل ١٠ ٢٨
فصل ١١ ٢٩
فصل ١٢ ٢٩
فصل ١٣ ٣٠
فصل ١٤ ٣١
فصل ١٥ ٣١
فصل ١٦ ٣٣
فصل ١٧ ٣٤
فصل ١٨ ٣٥

فصل ١٩	٣٥
فصل ٢٠	٣٦
فصل ٢١	٣٧
فصل ٢٢	٣٧
فصل ٢٣	٣٨
فصل ٢٤	٣٨
فصل ٢٥	٣٨
فصل ٢٦	٣٩
فصل ٢٧	٣٩
فصل ٢٨	٤١
فصل ٢٩	٤٢
فصل ٣٠	٤٢
فصل ٣١	٤٣
فصل ٣٢	٤٣
فصل ٣٣	٤٥
فصل ٣٤	٤٥
فصل ٣٥	٤٦
فصل ٣٦	٤٧
فصل ٣٧	٤٨
فصل ٣٨	٤٨
فصل ٣٩	٤٩
فصل ٤٠	٥٠
فصل ٤١	٥٠
فصل ٤٢	٥١

فصل ٤٣	٥٢
فصل ٤٤	٥٢
فصل ٤٥	٥٣
فصل ٤٦	٥٤
فصل ٤٧	٥٥
فصل ٤٨	٥٦
فصل ٤٩	٥٦
فصل ٥٠	٥٧
فصل ٥١	٥٧
فصل ٥٢	٥٨
فصل ٥٣	٥٩
فصل ٥٤	٦٠
فصل ٥٥	٦٢
فصل ٥٦	٦٣
فصل ٥٧	٦٤
فصل ٥٨	٦٥
فصل ٥٩	٦٦
فصل ٦٠	٦٦
فصل ٦١	٦٧
فصل ٦٢	٦٨
فصل ٦٣	٦٩
فصل ٦٤	٧٠
فصل ٦٥	٧٠
فصل ٦٦	٧١

فصل ٦٧	٧١
فصل ٦٨	٧١
فصل ٦٩	٧٢
فصل ٧٠	٧٢
فصل ٧١	٧٣
فصل ٧٢	٧٣
فصل ٧٣	٧٥
فصل ٧٤	٧٦
فصل ٧٥	٧٧
فصل ٧٦	٧٨
فصل ٧٧	٧٩
فصل ٧٨	٧٩
فصل ٧٩	٧٩
فصل ٨٠	٨٠
فصل ٨١	٨١
فصل ٨٢	٨٢
فصل ٨٣	٨٢
فصل ٨٤	٨٣
فصل ٨٥	٨٣
فصل ٨٦	٨٣
فصل ٨٧	٨٤
فصل ٨٨	٨٥
فصل ٨٩	٨٦
فصل ٩٠	٨٧

فصل ٩١ ٨٨
فصل ٩٢ ٨٨
فصل ٩٣ ٨٩
فصل ٩٤ ٨٩
فصل ٩٥ ٩١
فصل ٩٦ ٩٢
فصل ٩٧ ٩٢
فصل ٩٨ ٩٣
فصل ٩٩ ٩٤
فصل ١٠٠ ٩٤
الخاتمة ٩٤

زبدة الحقائق

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر وتمّم بفضلك

ديباجة

١ أحمد الله على نعم متواصلة أرعى أطراف النهار رياضها ومنح مترادفة أرِد آناء الليل حياضها وأصلّي على سيّد ولد آدم وخير من زيّن بجماله العالم محمّد صاحب شريعة الإسلام وداعي الثقلين إلى دار السلام وعلى آله المهتدين بأنواره وأصحابه المقتدين بآثاره.

٢ وبعد فهذه اللمعة موسومة بزبدة الحقائق ومشتملة على كشف الغطاء عن الأصول الثلاثة التي تعبّد باعتقادها كافّة الخلائق وقد أودعتها مائة فصل ووشّحتها بنكت دقيقة من كلّ أصل وهي عدّة كاملة للطالبين وغنية وافية بمقاصد السالكين إلى علم اليقين.[١] وقد ذكرت في الرسالة العلائيّة التي عملتها في مذهب السلف الصالحين رضي الله عنهم وعن من سلك طريقهم ما لا يستغني عن اعتقاده العوامّ في تلك الأصول وأمّا الذي يشفي غليل الخواصّ فقد أعربت عن بيانه في هذه الفصول وقد استخرت الله عزّ وجلّ في إملائها فسلّط عليّ خواطر لم أجد بدًّا من إمضائها ولولا أنّ الخيرة كانت في ذلك لما انتهج القدر بي هذه المسالك فما استخار عبد في أمر من أمور الدين والدنيا إلّا يُسّرت له فيه أسباب الوصول إلى درجة العَلياء.[٢]

٣ ولقد كان إخواني يتوقّعون ذلك منّي إذ كنت مشتغلاً بتحصيل العلم واستفادته وقد أكببت طول الليل والنهار على استزادته ثمّ انقطع طمعهم عن ذلك بعدما أضربت عن طلب العلم صفحًا وطويت دون الإقبال عليه كشحًا فصارت نفرة القلب عنه إلى حدّ كنت أستبعد معه من نفسي أن أتفرّغ يوماً لتمهيد تأليف أو أشتغل بتأسيس

---

١ ع، م: من علم اليقين إلى عين اليقين؛ ج: من علم اليقين. ٢ ج، ع، م: درجته العُلياء.

تصنيف وكان القلب في لجّ بحر لا ساحل له وقد غرق فيه الأوّلون والآخرون وليس لهم معتصم معوّل عليه ولا متمسّك يُلتجأ إليه ثمّ إنّي رأيت بعض المخلصين[1] من أعواني[2] تشوّق نفسه إلى الإحاطة بمنتهى نظر العلماء في أصول الدين وموقف أقدام السالك في طرق البراهين فلمّا رأيته محتاجاً في طريقه الذي هو بصدده إليه وقفت بضع أيّام من العمر عليه وقد تشوّشت عليّ أحوال القلب بسببه ولكن وطّن نفسي على احتمال ذلك صدق طلبه على أنّي لمّا استخرت الله عزّ وجلّ قطع الخواطر الدافعة عنّي بتقديره وسخّرني بهذا الأمر فلم أجد مدفعاً لتسخيره ثمّ كان القلب يطمئنّ إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم ما خاب من استخار الله.[3]

٤ فابتدأت بإملاء هذه الفصول وقد قدّمت عليها مقدّمة تتضمّن بيان الباعث الأصليّ على إملائها وأختمها بخاتمة تشتمل على ذكر الوظائف التي لا بدّ للناظر في هذا الكتاب من أن تكون موجودة فيه حتّى تعظم فائدته من مطالعته والله عزّ وجلّ ينفع به كلّ من ينظر فيه ويؤيّد باطنه بصفاء يستوعب به معناه ويستوفيه فهو المُستمسَك بعروة إنعامه والمستعان في كلّ أمر على كماله وإتمامه وهو حسبي ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

مقدّمة في بيان الباعث الأصليّ على إملاء هذه اللمعة

٥ اعلم أنّ الذي دعاني إلى ذلك غرضان مهمّان.

٦ فالغرض الأوّل أنّ جماعة من إخواني وفّقني الله للقيام بحقوق صحبتهم وصداقتهم ونهض بي لأداء ما يحبّ[3] عليّ في رفاقتهم كانوا يقترحون أن أملي فصولاً أذكر فيها ما ينتهي إليه نظر العقول في العلم بذات الله عزّ وجلّ وصفاته والإيمان بحقيقة النبوّة وباليوم الآخر وأن أنظم هذه المعاني في سلك ألفاظ يروق الفصيح إيجازُها ويروع الناظر المستقلّ بالنظر إعجازُها وكانت عوائق الزمان وصروف الحدثان تشغلني عن

---

١ ج: المصلّين. ٢ ج،ع،م: إخواني. ٣ م: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار. ٣ ج،ع: يجب.

القيام بما حامت رغباتهم عليه وتوجّهت هممهم إليه ثمّ لمّا رأيتهم يحتاجون غاية الاحتياج إلى ذلك وخصوصاً في الإيمان بحقيقة النبوّة وحقيقة الصفات الموصوف بها فاطر السماوات والأرض رأيت صرف العناية إلى بيان ذلك من أهمّ الأمور.

٧ ولقد ذكرت في النبوّة وما يتعلّق بها من المقدّمات العلميّة في رسالتي الموسومة بغاية البحث عن معنى البعث ما يشفي غليل الطالب المستفيد ويكفي الناظر المستبدّ بنظره السديد ولكن كان الإيمان بحقيقة النبوّة إذ ذاك مستنداً إلى علم اليقين ومتلقّى من طرق البراهين وحاصل ما يدركه العقل من حقيقة النبوّة يرجع إلى إثبات وجود شيء للنبيّ عليه السلام بطريق جمليّ من غير إدراك شيء من حقيقة ذلك الشيء وماهيّته وهذا الإيمان بعيد جدّاً من الإيمان الذي يحصل لصاحب الذوق بحقيقة النبوّة ويكاد يكون التصديق المستفاد من العلم بحقيقة النبوّة شبيهاً بتصديق يحصل لمن لا ذوق له في الشعر بوجود شيء مجمل فإنّ من لم يُرزق ذوق الشعر قد يتمكّن أيضاً من تحصيل اعتقاد ما بوجود شيء لصاحب الذوق ولكن يكون ذلك الاعتقاد بعيداً عن حقيقة الخاصّيّة التي يختصّ[1] بها صاحب الذوق.

٨ وكنت إذ أمليت تلك الرسالة ابن إحدى وعشرين سنة وأنا الآن ابن أربع وعشرين سنة ولقد أفاضت عليّ الرحمة الأزليّة في هذه السنين الثلاث من أنواع المعارف الغيبيّة ونفائس الأحوال الكشفيّة ما يتعذّر عليّ شرحه ووصفه وأكثر ممّا يستحيل عنه التعبير في عالم المتناطقين بالحروف والأصوات وأنا أجتهد غاية الاجتهاد أن أذكر منه طرفاً في هذه الفصول بأحسن إشارة وأرشق عبارة.

٩ والحقّ الصريح أنّ أكثر الكلمات المذكورة في هذا الكتاب متشابهة غاية التشابه فهما رأيتَ فيها لفظاً لم يؤدّ حقّ المعنى المسبوك في قالبه فلا تبسطنّ إليه لسان الاعتراض فلي في ذلك عذران واضحان أحدهما أنّي كنت عن ذكر المعاني في شغل شاغل عن تنقيح الألفاظ فلم أوردها على أحسن وجوه الإيراد مع أنّ ذكر تلك المعاني بعبارات تطابقها من غير تشابه فيها يكاد يكون محالاً لا بل هو كذلك قطعاً ويقيناً.

---

١ ج،ع: يخصّ.

والثاني أنّي أمليت هذه الفصول لقوم لا يشغلهم تشابه الألفاظ عن درك حقائق المعاني فمن كثرة ممارساتهم للحقائق العقليّة صاروا بحيث لا يقطع عليهم طريق الأنس بالملكوت الفهمُ مع عالم الملك.

١٠ الغرض الثاني أنّ الطريق إلى الله عزّ وجلّ وسلوكه صعب وفيه ما لا يحصى من البحار المغرقة والنيران المحرقة والجبال الشواهق والفلوات المملوءة بالصواعق والعقبات التي تستعصي على الأعين ويمتنع وصفُها على الألسن وكلّ واحد من السالكين يظنّ بنفسه أنّه من الواصلين وقد عمّ الضلال جميع الخلق إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ بفضله وكرمه حتّى أُهتدي إلى الصراط المستقيم والنهج القويم والله عزّ وجلّ يعيذنا من الاغترار بلامع السراب في المشارب[1] ويعصمنا في الطريق عن القواطع المضلّة حتّى يرد بنا أعذب المشارب ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١١ أجل وممّا ضلّ فيه فحول العلماء الحذّاق من أهل النظر حكمهم بأنّ حصول العلم بذات الله عزّ وجلّ وصفاته من طريق التعلّم هو غاية السعادة ومنتهى الدرجات وهذا جهل عظيم قد استولى على الأكثرين من المتجرّين في العلم والواصلين فضلاً عمّن هو بَعَدُ في السلوك ومن ظنّ أنّ العلم بذات المعشوق وصفاته عين الوصول إليه فقد سحب الضلال ذيله عليه ومن صار إلى أنّ الوقوع في مخلب السبع الضاري وأنّ العلم بالوقوع واحد فهو في مهواة بعيدة من الجهل وهذا مثل هؤلاء القوم في اغترارهم بظنونهم الفاسدة وآرائهم المتناقضة على أنّ الوصول إلى ما يدّعونه من العلم المشار إليه عزيز جدًّا إذ لا يتّفق ذلك إلّا على الندور لبعض الأشخاص في آحاد العصور.

١٢ فلمّا رأيت الأمر على ذلك ورأيت نفسي مليّة بالقيام على حلّ هذا المشكل وكشف القناع عن وجه الحقّ فيه صمّمتُ عزمتي على إملاء هذه الفصول ليتّخذها الطالب ذخرًا في طريق العلم ومسالكه حتّى يتيسّر له النجاة عن مهالكه فمن زاحم العلماء بركبتيه لطلب العلم ولم يعتقد أنّ وراء مقصده مقاصد كثيرة زلّ قدمه وكثر ندمه وعظم زَلَلُهُ وظهر حيث لا ينفعه خطَؤُه وهذا لأنّ الغالب على من اعتقد ذلك أنّه إذا وصل إلى

---

١ ج: بلامع السراب؛ ع: بلامع السراب في المسارب؛ م: بلامع السراب في المشارع.

مقصده وأحرز في العلم قصب السبق وقف به الطلب ولم يكن في نفسه تشوّف[1] إلى ما وراء ذلك وهذا الظنّ من السموم المهلكة لمن يسلك طريق العلم ومن لم يجرّب ذلك حقّ التجربة فلا يتصوّر أن يعرف ما أقوله.

١٣ ولقد سلكت هذا الطريق ونظرت في غثّ العلم وسمينه وطالعت منه كلّ ضارّ ونافع حتّى حصّلت ما كان يهمّني فيما كنت بصدده وأمّا ما كان قليل الغناء فما التفتّ إليه ولا عرّجت في الطريق عليه علماً بأنّ العلم كثير والعمر قصير فتضييعه في تحصيل ما لا تعظم فائدته حماقة وكان عذري إذ خضتُ كلّ مخاض في العلم واضحاً فالغريق يتمسّك بكلّ شيء رجاء الخلاص فقد كنت ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لولا أنّ الله تعالى ينقذني بفضله وكرمه وكان السبب في ذلك أنّي كنت أطالع كتب الكلام طلباً للارتفاع عن حضيض التقليد إلى ذروة البصيرة فلم أظفر منها بمقصودي وتشوّشتْ عليّ قواعدُ المذاهب حتّى تردّيت في ورطات لا يمكن حكايتها في هذه اللمعة ولا فائدة في سماعها أيضاً للأكثرين فإنّه يولّد ضرراً عظيماً للأفهام القاصرة والقلوب الضعيفة.

١٤ فتحيّرت في أمري تحيّرًا تنغّص معه العيش حتّى دلّني دليل المتحيّرين على الطريق وأمدّني كرمه بالمعونة والتوفيق وعلى الجملة فما نعشني من سقطتي بعد فضل الله تعالى إلّا مطالعة كتب الشيخ الإمام حجّة الإسلام أبي حامد محمّد الغزاليّ رضي الله عنه وأرضاه فكنت أتصفّحها قريباً من أربع سنين ورأيت في هذه المدّة من الاشتغال بالعلم عجائب كثيرة ممّا استقبلني في الطريق من الكفر والضلالة والحيرة والعماية وشرح ذلك لا يفي به بيان فإنّه خارج عن حدّ الحصر والإحصاء ولا مطمع فيه لطلب الاستقصاء ثمّ لمّا حصّلت مقصودي من العلم فظننت أنّي وصلت جعلت أنشد لنفسي قول الشاعر [كامل]

اِنْزِلْ بِمَنْزِلِ زَيْنَبٍ وَرَبَابِ وَٱرْتَعْ فَهٰذَا مَرْبَعُ ٱلْأَحْبَابِ

---

[1] ج،ع: تشوّق.

١٥ فبينا أحطّ رحالي في الثرى وأنيخ المطايا لتترفّه عن السير والسُّرى إذ أخذت عين البصيرة في الانفتاح ولست أعني بصيرة العقل حتّى لا تغترّ بخاطرك فكانت عين البصيرة تنفتح قليلاً قليلاً وكنت أقف في أثناء ذلك على القواطع التي كادت تقطع عليّ طريق الطلب لما وراء العلوم وبقيت في ذلك قريباً من سنة وأنا بعد لم أقف على حقيقة الواقعة التي وقعت لي في تلك السنة حتّى أنّ سيّدي ومولاي الشيخ الإمام سلطان الطريقة وترجمان الحقيقة أبا الفتوح أحمد بن محمّد الغزاليّ متّع الله ببقائه أهل الإسلام وجزاه عنّي خير جزاية ساقه التقدير إلى همدان وهي مسقط رأسي فانكشف لي في خدمته قناع الحيرة عن وجه تلك الواقعة في أقلّ من عشرين يوماً فشاهدت جليّة الحال في ذلك ثمّ طولعت بشيء لم يُوقَ منّي ومن طلبي لغيره إلّا ما شاء الله وأنا الآن منذ سنين ليس لي شغل إلّا طلب الغنا في ذلك الشيء والله المستعان على إتمام ما ولّيت وجهي شطره ولو عمّرت عمر نوح وأفنيته في هذا الطلب لكان له بعد قليلاً.

١٦ ورحم الله أبا فراس حيث يقول [طويل]

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا ٱلْمَهْرُ

١٧ وكان ذلك الشيء قد طبّق الخافقين فلا يقع بصري على شيء إلّا يراه فيه [مديد]

وَجْهُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ حَيْثُ مَا قَابَلْتُهُ قَمَرُ

١٨ وكلّ نفَس لا يزيدني استغراقًا في مشاهدته فلا بورك لي فيه ولله درّ أبي الطيّب وهذا الشعر لفاظه فيه [طويل]

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا كُلَّ لَذَّةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ
فَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ

١٩ والمغبون من لم يجعل أنفاسه أثمان المعالي ولم يجتهد في طلب العزّ طول الأيّام والليالي ولقد أجاد الموسويّ حيث يقول [طويل]

إِذَا أَنَا لَمْ أَرْكَبْ إِلَيْهَا مُخَاطِرًا وَأُعْظِمُ قَتْلًا دُونَهَا وَقِتَالَا
فَهٰذَا حُسَامِي لَمْ أُرِقَّ ذُبَابَهُ مَضَاءً وَهٰذَا ذَابِلِي لَمْ طَالَا

٢٠ وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل لي من التوفيق ساعدًا ومن القضاء الأزليّ مساعدًا حتّى أملك ناصية سؤلي وأبلغ قاصية مأمولي [كامل]

وَلَرُبَّمَا ٱسْتَيْأَسْتُ[1] ثُمَّ أَقُولُ لَا[2] إِنَّ ٱلَّذِي ضَمِنَ ٱلنَّجَاحَ كَرِيمُ

٢١ وسأزجي[3] قلاصي حتّى يتعيّن من أسر الزمان والمكان خلاصي فأينخ المطايا في أعزّ مناخ وأسمو بنفسي إلى مؤاخاة من هو أجلّ مؤاخ [طويل]

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدَا

٢٢ فالهمم العليّة لا تقف بالنفوس الزكيّة دون الوصول إلى الحضرة المحمّديّة صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه [كامل]

فَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى ٱلرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَا فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

والكلام في أمثال ذلك يطول.

٢٣ وأنا أخوض في بيان الفصول وأقول أهمّ ما ينبغي أن نبدأ بذكره في هذه الفصول بعد حمد الله الذي يُفتتح كلّ كتاب بحمده والصلاة على محمّد رسوله وعبده تعريفك أنّ أكثر الخلق لا ينتفعون بمطالعة هذا الكتاب حقّ الانتفاع فإنّ بيان ذلك مهمّ

١ (ٱسْتَيْأَسْتُ) في ج، ع، م؛ أ: ٱسْتَشْتُ. ٢ (لا) في ج، ع، م، ساقطة من أ. ٣ (سأزجي) في ج، ع، م: أ: سأجري.

في نفسه وسأنهج لك في خاتمة هذه الفصول طريقًا إذا سلكته صرت وافر الحظّ من الكتـاب.

فصـل ١

٢٤ اعـلم أنّ المصدّقين بالسعادة الأخرويّة والطالبين لها أربعة أقسام.

٢٥ القسـم الأوّلـــ: فريق صدّقوا بما جاءت بها الرسل فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يحتاجوا في هذا الإيمان إلى بحث نظريّ كما جرت به عادة العلماء النظّار وهؤلاء لا يصلح لهم النظر في هذا الكتاب أصلاً إذ ليس واحد منهم يحتاج إلى شيء ممّا ذكر فيه نعم يجوز أن ينتفع به إذا نظر فيه للاستفادة ولكن النظر فيه ليس بمهمّ لأمثاله.

٢٦ القسـم الثاني: فريق من علماء الظواهر سلكوا مسلكًا من البحث غير مرضيّ عند المحقّقين فقلّدوا جماعة من أرباب المذاهب في مذاهبهم وفي دلائلها جميعاً وهؤلاء أحسن حالاً من القسم الأوّل وليس لهم حاجة إلى النظر في هذا الكتاب وربّما لا ينتفعون به إن نظروا فيه أيضاً.

٢٧ القسـم الثالث: فريق من العلماء النظّار الذين يزعمون أنّهم لا يقلّدون في عقائدهم أحدًا من الخلق[١] وإنّما يسلكون فيها طريق البحث العقليّ والنظر البرهانيّ وطريقة هؤلاء في طلب العلم أحمد الطرائق إلّا أنّهم إذا قطعوا منازل العلم ظنّوا أنّهم وصلوا إلى الكمـال الكلّيّ في ما هم بصدده وغرور هؤلاء بما حصّلوه من العلوم النظريّة عظيم فإنّهم يظنّون أنّ تحصيل العلم بالله مثلاً وصول إليه وهو عين السعادة المطلوبة فترى الواحد منهم يكبّ طول الليل والنهار على طلب الدنيا وشهواتها ويزعم أنّ ذلك لا يضرّ أمثاله وأنّه سعي منه في طلب علف البعير وامتثال لأمر الله عزّ وجلّ حيث يقول ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾. وهذه حماقة عظيمة

١ (في عقائدهم أحدًا من الخلق) في ج، ع؛ أ: لأحد من الخلق في عقائدهم؛ م: في عقائدهم حقيقة أحدًا من الخلق.

يبعد الخلاص عنها إلّا لمن يُأخذ بطبعه[١] عناية أزليّة وهؤلاء أيضاً لا ينتفعون بمطالعة هذا الكتاب فتراهم إذا نظروا فيه يتحذلقون ويقولون نحن إذا لم نقلّد الأنبياء من غير برهان يقوم على صدق ما يقولونه فما بالنا نقلّد غيرهم وأيّ فرق بيننا وبين سائر العوامّ إذا قلّدنا واحداً من غير بصيرة سواءً كان نبيّاً أو غيره وهذه مهلكة عظيمة هلك فيها النظّار إلّا من عصمه الله بفضله ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ونعم الطريق طريق النظر لو لم يكن فيه أمثال هذه المهالك ومن زعم أنّه يسلك ذلك الطريق ولا تضرّه تلك المهالك فهو جاهل وسيعلم حقيقة ما ذكرتُه في سلوكه ولا ينفعه العلم.

٢٨ القسم الرابع: شرذمة قليلة يسلكون طريق العلم النظريّ فإذا فرغوا من قطع عقباته ومنازله لم يشف ذلك غليل طلبهم شفاءً كلّيّاً ومن حصل له علم يقينيّ وضروريّ بوجود الباري تعالى وتقدّس وبوجود صفاته فسكنت بذلك فورة طلبه فليس هو من القوم المشار إليهم أصلاً فهؤلاء لا يزيدهم التبحّر في العلم إلّا جدّاً في الطلب وتشوّقاً إلى مزيد الاستبصار وتطلّعاً إلى ما وراء العلم والعقل من كشف ذوقيّ يختصّ به خواصّ الحقّ وهم الذين ينتفعون بهذا الكتاب ومطالعته حقّ الانتفاع ولم تصدق رغبتي في إملاء هذه الفصول إلّا لأجلهم مخافةَ أن أكون عرضة لقول الشاعر [طويل]

فَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ ٱلْأَهْلَ عَيْشُهُ وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ

والله تعالى ينفعهم بمطالعته كما يحبّ ولا يجعله وبالاً عليّ وعليهم بفضله وجوده.

فصل ٢

٢٩ اعلم أنّ ما اتّضح فيه كلام النظّار من المسائل المطلوبة واستوفي عليه البرهان في كتبهم فإنّي لا أطوّل بذكره هذا الكتاب بل أقتصر على ذكر ما أهملوه ولم يتّضح كلامهم فيه غاية الاتّضاح كعلم الله بالجزئيّات وحقيقة النبوّة وبيان أنّها عالم من عوالم لا يُتصوّر

١ ج،ع: بضبعه؛ م: بصنعه.

للعقل الوصول إليها وغير ذلك من المسائل التي تاهت فيها عقول النظّار كما[١] تجد في الكتاب تفصيله فأمّا المسائل التي حقّقوا القول فيها غاية التحقيق فلا أتعرّض لها إلّا أن يجيء ذلك عرضاً في أثناء الكلام غير مقصود كما هو حكم المسألة التي أذكرها في هذا الفصل في إثبات الموجود القديم وإنّما أوردت ذلك لغرض مهمّ وهو أن يُقابل ما أذكره فيها بجميع ما ذُكر في الكتب ويُنصف أنّه هل يُتصوّر أن يكون قول أوجز وأقرب إلى التحقيق منه أم لا.

٣٠ فإنّ أهل النظر حقّقوا القول في تلك المسألة من وجوه كثيرة وأكثرهم ضلّوا فيه عن سواء السبيل كمن استدلّ على وجوده أعني على وجود القديم من طريق النظر في الحركة فإنّ ذلك وإن كان طريقاً واضحاً وبالمقصود وافياً فسلوكه يطول ويحتاج فيه إلى إتقان مقدّمات يستغني عنها من يسلك الطريق المستقيم. نعم لست أنكر أنّ النظر في الحركة فيه فوائد كثيرة ولكنّي أقول إنّه مستغنى عنه في تلك المسألة من حيث ذاتها وقد ذكر الإمام حجّة الإسلام الغزاليّ رضي الله عنه في كتابه الموسوم بالاقتصاد في الاعتقاد قريباً من عشر أوراق في إثبات القديم ولعمري إنّه كان معذوراً في ذلك فإنّ كتابه هذا على منهاج كتب الكلام وإن كان أكثر كلامه فيه مترقّياً عمّا يشتمل عليه كتب المتكلّمين وكثير ممّن سواه سوّدوا أوراقاً في تلك المسألة كما هو مشهور عند العلماء وذلك فضول مستغنى عنه.

٣١ والحقّ اليقين في إثبات القديم أن يُستدلّ عليه بالوجود الذي هو أعمّ الأشياء إذ لو لم يكن في الوجود قديم لما كان في الوجود موجود أصلاً والبتّة وذلك لأنّ الموجود ينقسم قسمة حاصرة إلى الحادث والقديم أعني إلى ما لوجوده بداية وإلى ما ليس لوجوده بداية فلو لم يكن في الوجود قديم لم يكن أصلاً حادث إذ ليس في طبيعة الحادث أن يوجد بذاته فإنّ الموجود بذاته يكون واجب الوجود والواجب بذاته لا يُتصوّر له بداية وينتج من هذه الكلمات قياس برهانيّ يلقّبه أهل النظر بالشرطيّ المتّصل ليكون إدراكه أسهل على المبتدي الذي لم يقوَ بعد على إدراك الحقائق المعقولة فيقال لو كان

١ (كما) في ع؛ أ، ج: كنا ما؛ م: كثا ما.

في الوجود موجود لزم بالضرورة أن يكون في الوجود قديم فهذا أصل يقينيّ لا يُتصوّر أن يشكّ فيه أحد من الخلائق. ثمّ يقال والوجود معلوم قطعاً وهذا أصل ثان وهو كالأوّل يقينيّ وبعد ذلك ينتج من الأصلين الثابتين وجود موجود قديم بالضرورة وهذا هو الاستدلال على القديم من طريق الوجود ولا يُتصوّر أن يكون وراء هذا البيان بيان لا في الإيجاز ولا في التحقيق.

٣٢ وبعد ذلك فلابدّ لك من البحث عن صفات هذا القديم الذي ثبت وجوده بطريق البرهان الضروريّ وأنّه كيف ينبغي أن يكون هذا القديم وذلك مشهور والكتب به مشحونة وليس هذا الكتاب ممّا يحتمل بيان جميع ذلك فلكلّ مقام مقال مخصوص والغرض من هذا الكتاب بيان أمر هو أشرف من العلوم العقليّة فلا نطوّل بذكرها فاعلم الآن وتيقّن أنّ ما انتهى نظر النظّار فيه إلى هذا الحدّ من الوضوح فالغالب عليّ أن لا أتعرّض لذكره في هذه الفصول إلّا اذا احتجت إلى ذلك في شيء ممّا وراءه.

فصل ٣

٣٣ لا شكّ عند ذوي البصائر النافذة في حجب الغيب وسرادقات الملكوت في وجود معنى صدر عنه الوجود على أتمّ الوجوه وهو الذي عُبّر عنه خارج الحجب في لسان العرب بقولهم الله تعالى وأعني بذوي البصائر من يدرك وجود ذلك المعنى من غير مقدّمة علميّة كما هو حال أهل النظر وذلك المعنى يتعالى ويتقدّس عن أن يطمح نحو حقيقته نظر ناظر سواه وسبحانه عن أن يطمع طامع في جوازة ذلك فهو المتعزّز بذاته لا عن ذاته.

٣٤ فذاته ونفسه هي التي اقتضت هذا التعزّز على الغير كما أنّ الشمس بذاتها تقتضي في كمال سلطنة[١] إشراقها أن تكون متعزّزة عن أن تمتدّ إليها أبصار الخفافيش ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ومن آياته الشمس ولولا إذنه وكرمه الفائض المقتضي للإذن

١ (سلطنة) في ج، م؛ أ: سلطانها؛ ع: سلطان.

لما اجترأ أحد من البشر على ضرب مثل له وكيف لا ويستحيل ضرب المثل في حقّه إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ . فالشمس في المثال الذي ضربناه ليست تني بكمال المقصود فإنّها لا تقتضي بذاتها لا تعزّزاً ولا غيره لأنّ وجودها مستفاد من الغير مع جميع صفاتها وليس في الوجود موجود له ذات يحقّ لها حقيقة الوجود سوى الواحد القهّار الذي هو متنزّه عن كلّ كمال يدركه الأنبياء والمقرّبون فضلاً عن نقصان يتخيّله فيه ضعفاء البصائر الذين يكنّي عنهم القديم ويقولون ويظنّون ﴿بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ .

٣٥ فلعزّة ذاته على عموم الخلق قال في كتابه الكريم ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ . ولكمال كرمه ونهاية عنايته بعباده نزّه نفسه عن النقصان تلطّفاً بهم وتعطّفاً عليهم فقال جلّ من قائل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يتّخذ ﴿صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ . وهو منزّه في بصائر العارفين عن الكمال الذي يمكن إدراكه للخلق حسب تنزّهه عند الجاهلين عن كلّ نقصان.

فصل ٤

٣٦ فالله عزّ وجلّ هو مصدر الوجود على اختلاف أجناسه وأنواعه والوجود ينقسم إلى أقسام عامّة يندرج تحتها جميع الموجودات كانقسامه إلى القديم والحادث والكامل والناقص والكثير والواحد[١] ومن أقسامه العامّة انقسامه إلى ما له من ذاته خبر وهو كلّ ما له حياة وإلى ما ليس له من ذاته خبر وهو كلّ ما ليس له حياة وكلّ واحد من هذين القسمين يمكن تقسيمه إلى أقسام مختلفة باعتبارات متعدّدة فينقسم القسم الأوّل وهو الذي له من ذاته خبر في إدراكه إلى ما لا يدرك إلّا الموافق لطبعه وإلى ما يدرك المنافي لطبعه مع الموافق له وأمّا القسم الذي لا خبر له من ذاته فينقسم عند اعتبار لونه مثلاً إلى الأبيض والأسود وغيرهما وينقسم انقسامات أُخر عند

١ م: القليل.

اعتبارات سواه وشرح ذلك يطول وليس الغرض متعلّقًا به فنضرب[1] عنه صفحًا إلى ما هو الغرض المقصود.

٣٧ ونقول بعض الموجودات إذا اعتُبر نسبتها إلى القسم الذي يدرك الموافق لطبعه مع المنافي ينقسم باعتبار تلك النسبة فقط إلى الخير والشرّ والموافق للقوّة المدركة خير بالنسبة إليها ما دام يوافقها إدراكه فإذا تغيّرت بينهما هذه النسبة فلم يوافقها إدراكه بل أضرّ بها كان شرًّا بالنسبة إليها ولذلك يجوز أن يكون الشيء الواحد في حالة واحدة خيرًا وشرًّا بالنسبة إلى مدركين وما أصدق القائل إذًا [طويل]

مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

فصل ٥

٣٨ اعلم أنّ الله الذي هو مصدر الموجودات على اختلاف أقسامها له أسامٍ كثيرة بالنسبة إلى تلك الأقسام وتكاد تلك الأسامي تخرج عن الحصر لو أراد مريد أن يستوفي جميعها فله باعتبار النسبة إلى كلّ موجود حصل منه اسم وأمّا ما سمّى به نفسه في كتابه الكريم وعلى ألسنة أنبيائه عليهم السلام وسُمّي به عند الخلق فهو محصور وهذه الكلمات ربّما تحتاج عند الضعفاء إلى زيادة شرح وإيضاح وأنا أكسّر سورة الإنكار في ذلك.

٣٩ وأقول إذا اعتُبر ذات الله عزّ وجلّ من حيث هي مصدر القسم الذي يدرك الموافق والمنافي واعتُبر مع هذا نسبة ذلك القسم إلى الشيء الذي يوافقه وينافيه من حيث يوافقه وينافيه ظهر له اسمان وهما الضارّ والنافع فإنّ الجماد لا يضرّه شيء ولا ينفعه من حيث الإدراك وإن كان يجوز أن تنعدم صورته بشيء فذلك الشيء هو الذي ضرّ صورته ولكن الاصطلاح الأصليّ الحقيقيّ في الضرّ والنفع أنّهما لا

---

١ م: فيضرب.

يطلقان إلّا على ما له إدراك وأمّا إطلاقهما في مقتضى اللسان على غيره فهو بطريق النقل والألفاظ المنقولة كثيرة وهي أشهر من أن يُحتاج إلى بيان ولا عبرة بالألفاظ بعد ظهور المعاني.

فصل ٦

٤٠ لعلّك تقول الضارّ والنافع صفتان فكيف قلنا إنّهما اسمان وهل يجوز أن يقال صفات الله تعالى أسماؤه أم بينهما فرق فاعلم أنّا إذا نظرنا من حيث الحقيقة فالفرق ظهر بين الاسم والصفة فإنّهما متغيّران في المعنى فالاسم هو اللفظ الذي وضعه أهل الاصطلاح للدلالة على مسمّاه من غير أن يعتبر فيه صفة على حدتها وأمّا الصفة فهي بالعكس من ذلك وهذا كما أنّ اسم الحجر يدلّ على مسمّاه من غير أن يعتبر منه الصلابة أو اللين والصلب واللين صفتان لا يُطلقان إلّا عند اعتبار شيئين مخصوصين في الحجر وغيره وهذا هو الحقّ الصريح مهما نظرنا من حيث العقل.

٤١ فأمّا إذا نظرنا من حيث الشرع فقد قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. وعلى هذا يندرج اللطيف الخبير[١] والرحمٰن الرحيم[٢] تحت تلك الأسماء ويُشبه أن لا يكون له اسم يدلّ على حقيقة مسمّاه من غير اعتبار بعض صفاته إلّا الله فإنّ هذا الاسم له بمنزلة أسماء الأعلام[٣] للغير.

فصل ٧

٤٢ إذا نظرت نظرًا شافيًا علمت أنّ كلّ ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به غيره فهو باعتبار نسبته إلى بعض الموجودات أو إلى جميعها وسيأتي لذلك مزيد إيضاح فيما بعد وأمّا الاسم الذي هو علميّ له فيشبه غاية الاشتباه أن يكون موضوعًا

١ ج، ع، م: اللطيف والحكيم. ٢ ج، ع، م: والخبير والرحيم. ٣ (الأعلام) في ع؛ أ، ج، م: الإعلام.

للدلالة على الموجود الذي انتهى إليه نظر السالك كالذي يسافر من طريق الوجود الحسّيّ إلى الوجود العقليّ ثمّ انتهى به السلوك إلى أن فُتحت له أبواب الملكوت فلمّا انتهى تعلغله في بحار الملكوت ظفر بدرّة التوحيد ووضع الاسم العليّ للدلالة على تلك الدرّة لا باعتبار نسبتها إلى موجود صدر عنها بل باعتبار ذاتها فقط من حيث رآها موجودة.

٤٣ وأمّا الذي سمّى تلك الدرّة قديمة فإنّما سمّاها بذلك من حيث رأى مغايرتها لسائر الذوات في الحاجة إلى علّة موجدة لها وكذلك إذا نظرت إلى اسم الحيّ والحقّ علمت أنّ واضعهما نظر عند الوضع إلى موت الغير وبطلانه وأمّا الاسم الذي هو كالعَلَم له فلا تجد فيه شيئًا من ذلك وربّما يُتكلّف في ذلك أيضاً ويُتصرّف فيه بأنواع من التصرّفات الباردة التي ذكرها أهل النحو والتصريف في كتبهم واشتغالي بشرح وجوه الخلل في تلك التصرّفات لا يحتمله الوقت فإنّه أنفس من أن يُضيّع بأمثال ذلك ولا هذه اللمعة تحتمله أيضاً فإنّها تنبو مع اختصارها عن بيان ما يضاهي ذلك.

فصل ٨

٤٤ كلّ ممكن فيجب وجوده بالقديم هكذا جرت سنّة الله تعالى في الملك والملكوت ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً﴾. وكلّ ما لم يُوجد فهو يُعدّ محالاً لوجود أعني بغيره لا بذاته والمحال لا يكون مقدوراً وما لم يصر الشيء مقدوراً فالقدرة الأزليّة لا توجده وبيان ذلك أنّ السبب في وجود الموجودات هو الله تعالى وهو موجود ولا مانع من وجود المسبّب مع وجود السبب إلّا فَقْد شرط لأنّ وجود المشروط مع عدم الشرط محال ومهما وُجدت شروط الممكن أوجبت القدرة الأزليّة وجوده بالضرورة ومادام يعوزه شرط فهو بعد ليس بممكن الوجود فإذا تحقّق ذلك فاعلم أنّ كلّ موجود فهو واجب الوجود إمّا بذاته وإمّا بغيره وكلّ معدوم فهو محال الوجود إمّا بذاته وإمّا بغيره.[١]

١ (وكلّ معدوم . . . بغيره) ساقطة من ع.

فقد اتّصلت إذاً حدود الواجب والمحال ولا حائل يحول بينهما وإنّما الإمكان حدّ فاصل بينهما ولا حقيقة له أصلاً كالنقطة الوهميّة التي تُفرض على خطّ مستقيم وكالحدّ الحاجز بين الماضي والمستقبل من الزمان فكان آخر حدود الماضي متّصلاً بأوّل حدود المستقبل وأمّا الحدّ الذي يتّصل بهما[١] فلا حقيقة له إلّا في الوهم فإنّك إذا فرضت نقطة وهميّة على خطّ الزمان المستقيم[٢] إلى الماضي والمستقبل لم تجد شيئاً فاصلاً عن الماضي والمستقبل بقي عن خطّ الزمان حتّى يكون هو حقيقة الحدّ الفاصل وهو النقطة المفروضة في الوهم.

فصل ٩

٤٥ إن خطر ببالك أنّ الله تعالى لِمَ يوجد ألغرضٍ يرجع إليه وهو محال أم لغير غرض وهو أيضاً محال إلّا من طريق الطبع المحض ولا يوصف الله تعالى بذلك. فاعلم أنّ هذا سؤال تحيّر فيه أكثر العلماء وهو الخاطر الذي خطر لداود النبيّ عليه السلام حيث قال أي ربِّ لِمَ خلقتَ الخلق فقال له كنت كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أُعرف وكان المعنى الذي يقتضي صدور الوجود عنه هو الذي كنّى عنه بقوله فأحببت أن أُعرف ولا يُتصوّر إدراك ذلك المعنى إلّا للعارفين.

٤٦ وإنّما نصيب العقل أن يُستدلّ على وجوده من وجود الموجودات وذلك بعدما تحقّق عنده أنّ الله تعالى عالم بالجزئيّات بحيث لا يتشكّك فيه فإنّ العقل إذا تحقّق استناد الموجودات إليه وتحقّق بعد ذلك علمه بالجزئيّات ظهر له لا محالة بأنّ إيجاد الواجب مع علمه بالإيجاد صفة ضروريّة الوجود لتلك الذات كما أنّ القِدَم مثلاً صفة ضروريّة لها فكما لا يجوز للواجب أن لا يكون قديماً فلا يجوز له أن لا يكون مصدراً للخلق وكان قول القائل لِمَ كان مصدراً للوجود كقوله لِمَ كان قديماً والجواب أنّه لو لم يكن قديماً لم يكن واجباً ولو لم يكن مصدراً للوجود أيضاً لم يكن واجباً فمن

١ ج،ع: يفصل بينهما. ٢ ع: المنقسم.

تحقّق استناد الوجود إليه فلا بدّ أن يقول إنّ الإيجاد صفة له. فنقول[١] هذه الصفة إن كانت ضروريّة الوجود له فالسؤال بِلِمَ عن كونه موصوفًا بها[٢] هوس فهو كالسؤال بِلِمَ عن كونه قديمًا وإن كانت غير ضروريّة الوجود له فهي صفة عارضة خارجة عن ذاته والعوارض تحتاج إلى العلل والواجب يأبى بذاته أن يحتاج في شيء إلى شيء وإلّا لم يكن واجبًا.

فصل ١٠

٤٧ كلّ موجود حادثٍ وُجد فهو مقدور إذ لو لم يكن مقدورًا لما وُجد فمصدر الوجود إذًا قادر وكلّ موجود مقدور فهو مراد إذ لو لم يكن مراد الوجود لما وُجد فمصدر الوجود إذًا مريد وكلّ موجود[٣] فله إلى الواجب نسبة ما وله أعني للواجب إلى كلّ موجود وجه وكلّ موجود فهو حاضر للواجب والواجب معاين لكلّ موجود وما ليس بحاضر للواجب فهو معدوم إذ ليس له إليه وجه ولولا وجه القيّوم لم يكن للموجودات أصلاً وجود كما يقال في النظر العاميّ لولا وجه الشمس المقوّم لوجود الشعاعات المنبسطة على الأرض لم يكن للشعاعات أصلاً وجود واذا كان للواجب إلى كلّ شيء وجه كان بالضرورة عالمًا بكلّ ذرّة من ذرّات الوجود فهذه غاية العقل في عروجه فإنّه نسبة[٢] في الواجب لكلّ[٤] ما يراه ضروريًا له من طريق الاستدلال عليه بالموجودات وصفاتها كما تراه من استدلاله بالموجودات وحدوثها على قِدَمه وقدرته وإرادته وعلمه وأمّا ما وراء ذلك فليس إدراكه من شأن العقل.

١ ع: يقول. ٢ (بها) في ج،ع،م؛أ: فإنّها. ٣ زائدة في: مراد. ٤ ج،ع،م: يثبت.

فصل ١١

٤٨ كلّ ما في الوجود فنسبته من سعة العلم الأزليّ كنسبة لا شيء إلى شيء[١] لا يتناهى وهذا الكلام يدركه العارفون ببصائرهم تحقيقاً بحيث لا يمكنهم أن يتشككوا فيه كما أنّ العقلاء يدركون أنّ الكلّ أعظم من الجزء وأنّ وجود المفرد مقدَّم على وجود المركّب وهذا الإدراك يقينيّ عند العقلاء لا تشوبه شبة أصلاً والبهائم حُرمت إدراك ذلك مع وضوحه عند العقلاء إذ عدمت حاسّة هذا الإدراك فكذلك العقلاء المعتكفون في طور العقل الذين لا يمكنهم مجاوزته يحُرمون إدراك قولنا نسبة كلّ الموجودات إلى علم الله تعالى كنسبة لا شيء إلى شيء لا يتناهى فيتحيّرون ويتيهون في كيفية علم الله تعالى بالجزئيّات ويظنّون أنّ تغيّر علمه لازم من تغيّر هذه الجزئيّات.

فصل ١٢

٤٩ ومن عجائب آيات القرآن قوله تعالى ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ فهو مشعر بأنّ كلّ شيء حاضر له وأنّه حاضر مع كلّ شيء فلذلك لا يعزب عن علمه شيء وأمّا قوله عزّ وجلّ ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فإنّ استعمال السعة فيه مع ذكر العلم أعجب من كلّ عجب وبيانه أنّ الموجودات مستفادة من علمه وعلمه محيط بكلّ شيء كما قال عزّ وجلّ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. والحقّ أنّ الله هو الكثير والكلّ وأنّ كلّ ما عداه هو الواحد والجزء لا بل فكلّ ما سواه فليس بجزء ولا واحد أيضاً إلّا من الوجه الذي تلي كليّته وكثرته وخذ لهذا الكلام الغامض في نفسه مثالاً على قدر عماك واعلم أنّ الشمس وإن كانت واحدة فالشعاعات الفائضة منها كثيرة فالحقّ أن يقال الشمس هي الكثيرة والشعاعات هي الواحدة فإذا كان العلم المستفاد من وجود المعلوم

١ (كنسبة لا شيء إلى شيء) في ع؛ أ، م: نسبة لا شيء من شيء؛ ج: نسبة لا شيء إلى شيء.

سُمّي علماً وهو علم الخلق فكيف لا يُسمّى الصفة الإلٰهيّة التي هي ينبوع الموجودات كلّها علماً لا بل الحقّ أن لا يطلق اسم العلم إلّا عليها فإن أطلق على غيرها فبالمجاز المحض والتوسّع البعيد والاشتراك الصرف من حيث الحقيقة عند العارف وإن كان العلماء يحكمون بأنّ إطلاق لفظ العلم على علم الله عزّ وجلّ وعلم الخلق بطريق التشابه.

٥٠ وقول من قال إنّ الله لا يعلم الجزئيّات تعالى عن قولهم علوّاً كبيراً كأنّه ذهب إليه معتقده من حيث أنّه رأى تلك الجزئيّات داخلة تحت الماضي والمستقبل فظنّ أنّ تغيّرها يوجب تغيّر العلم بها وهذا هوس عند أهل التحقيق لأنّ الزمان جزء من الموجودات لأنّه عبارة عن مقدار الحركة والحركة من صفات الأجسام الخاصّة ومعلوم أنّ الأجسام أخسّ الأقسام الموجودة من العلم الأزليّ والموجودات كلّها شريفها وخسيسها مستفادة منه وليس وجود العلم الأزليّ موقوفاً على وجود شيء بل وجود كلّ شيء متوقّف على وجوده فإذا كان الزمان جزءاً من الموجودات كما بُيّن فكيف يجوز أن يقال يلزم من تغيّر بعض الموجودات تغيّر علمه وإنّما كان يصحّ ذلك لوكان علمه متوقّفاً على وجود الموجودات كما هو حكم علم الخلق فإذا لم يكن علمه كذلك فلم يلزم من تغيّر الجزئيّات[١] تغيّر العلم المحيط بها.

فصل ١٣

٥١ من ظنّ أنّ تغيّر الشعاعات بسبب حجاب يمنع استعداد الأرض لقبولها كالسحاب مثلاً يلزم منه تغيّر الصفة التي هي ينبوع الشعاعات ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلاً بَعِيداً﴾. ولعمري يجوز أن تتغيّر الشمس فتتغيّر الشعاعات عند تغيّرها ولكنّا فرضنا الكلام فيها إذا كان تغيّراً لشعاعات[٢] صادراً عن حجاب يمنع قبول الأرض لنور الشمس لست أقول يمنع فيضان الشمس فإنّ الشمس بصفاتها كما كانت لم يتغيّر منها شيء بسبب هذا الحجاب وإنّما الحجاب يمنع قبول الأرض لفيضان نور الشمس.

١ ج،ع،م: الموجودات. ٢ ج،ع،م: تغيّر الشعاعات.

فصل ١٤

٥٢ الشمس بذاتها كاملة في سلطان إشراقها ليست تحتاج إلى اكتساب كمال شيء آخر فمن ظنّ أنّها إذا قابلت جسماً فظهر شعاعها عليه وبلغ أثرها إليه كان ذلك كمالاً في حقّها هذا خطأ فاحش[١] إنّما كمال كلّ شيء في مقابلته للشمس حتّى يحظى من كمال إشراقها بنصيب ما فأمّا أن تكون مقابلة الشمس لشيء كمالاً لها فكلاّ وحاشا.

٥٣ هذا من حيث النظر العامّيّ مثال جليّ في تفهيم المقصود وهو عند أُولي الألباب لبّ اللبّ وكمال الكمال وهذه الألفاظ تبعد غاية البعد أن تتجلّى حقائق معانيها لبصيرة العقل وإنّما إدراكها إلى طور وراء طور العقل ومهما كان في باطنك شيء منه فلو أُفيضت عليك المعقولات كلّها دفعة واحدة لم يشفِ ذلك غليلك أصلاً[٢] وكما لا يسكن طلب الجائع بالماء ولا طلب العطشان بالخبز فكذلك طلب العارف المخصوص بالطور الذي وراء العقل لا يسكن بالمعقولات.

فصل ١٥

٥٤ نسبة الموجودات كلّها إلى الله عزّ وجلّ واحدة فالحاضر من الأزمنة والماضي منها والمستقبل متساوي النسبة إليه وللموجودات إذا نظرتَ إليها بنظر العقل ترتيب فإنّ لبعضها تقدّماً على البعض كتقدّم المفرد على المركّب ولكنّها إذا أُضيفتْ إليه ونُسبتْ على الوجه الحقّ تساوت نسبتها إليه فهو تعالى واسع ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. أي لولا علمه بوجوده لما وُجد فالذي وُجد والذي لم يُوجد داخلان على التساوي تحت علمه المحيط الذي يعجز أفهام الخلق دون إدراكه وتتلاشى عقولهم دون ملاحظة حقيقته وتمحق قواهم دون الوصول إلى أثر من آثاره إذ لا يشبه علمه أصلاً علم الخلق كما لم يشبه ذات الشمس شعاعاً أصلاً في المثال المحسوس الذي يقتصر نظر العوامّ

١ ج، ع، م: فقد أخطأ خطأً فاحشًا. ٢ (أصلاً) في ج، ع، م؛ أ: أيضًا.

عليه وكيف لا وعلمه الأزليّ كان موجوداً قبل الزمان وقبل جميع الموجودات كما هو الآن موجوداً وليس لعقولنا الضعيفة أن تدرك علمه بالجزئيّات على ما يجب ولكنّها تدرك عجزها عن إدراكه كما يدرك الوهم عجزه عن إدراك حقيقة موجود لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا متّصلاً به ولا منفصلاً عنه.

٥٥ ولا يمكن أن يُعبّر عن حقيقة العلم الأزليّ من طريق العلم إلّا بهذه العبارة الموضوعة لمعنى غير المعنى الذي أريد به هاهنا ولذلك تُشوّش العقول والأفهام دون إدراك ذلك فمن قصر همّته وعقله وعلمه عن إدراكه فليحلّ بالعجز على قوّته وقدرته وليكرّر نظره في تفهّمه فعساه ينفتح له باب منه وليستعن بالله عزّ وجلّ على التوفيق لما يطهّر القلب من الحجب المانعة له عن الإدراك الحقيقيّ ولايبادرنّ إلى التكذيب دون التوقّف فيه فهذا معتقد قوم اعتقدوا بضع سنين في العلم القديم ما يعتقده سائر الضُلّال حتّى هداهم الله تعالى بنوره فضلاً منه وكرماً لا استحقاقاً منهم واستيجاباً والله عزّ وجلّ يزيدهم معرفةً بعجز عقولهم عن إدراك الأمور الإلٰهيّة.

٥٦ فمن طمع أن يحيط علمه وعقله بحقيقة علم كان موجوداً قبل الكون وقبل القبل وهو سبب لوجود الموجودات ومحيط بالكلّ إحاطة لا يُتصوّر أن يكون وراءها إحاطة فقد طلب بيض الأنوق وطمع في تناول العيّوق وانخلع بالحقيقة عن غريزة العقل وبالحريّ أن يُعدّ أمثاله من المجانين عند أهل الفضل فعقولنا أعجز عن إدراك العلم الأزليّ من النمل لا بل من الجمادات عن إدراك علمنا بدرجات كثيرة ونسبة علمه إلى علمنا كنسبة قدرته إلى قدرتنا فكما يستحيل في قدرتنا اختراع شيء أعني إيجاده لا من شيء وليس ذلك يستحيل في قدرة الأزل لأنّه ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي موجدهما ومخترعهما لا من شيء فكذلك يستحيل في علمنا أن يتغيّر المعلوم ولا يوجب تغيّرًا فيه في علمنا لأنّ علمنا مستفاد من المعلوم ولا يستحيل ذلك في علم الله تعالى الذي يُسند إليه وجود الموجودات كلّها نعم لمّا كان العقل يدرك في أوّل نظره تفاوتاً بين القدرتين ولم يدرك تفاوتاً بين العلمين تاه في الحكم فوقع في هذه الأغلوطة وتعقّد بهذه الأحبولة.

٥٧ والله تعالى فوق العقل ومحيط بالعقل فكيف يُتصوّر أن يحيط العقل به وبصفاته وإحاطة الجزء بالكلّ في غاية البعد والعقل ذرّة من ذرّات الوجود الحاصل منه وقد ذكرنا أنّ الموجودات كلّها لا نسبة[١] لها أصلاً من سعة العلم الأزليّ فكيف يليق بالعقل أن يطمع في إدراكه ومن قصر فهمه عن إدراك هذا العجز فهو لجهله وقلّة استعداده لإدراك عجزه وليس لقصوره مستند إلّا ضيق حوصلة عقله [بسيط]

عَلَيَّ نَحْتُ ٱلْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا[٢] وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمِ ٱلْبَقَرُ[٣]

٥٨ فسبحان من أرسل محمّداً صلّى الله عليه وسلّم إلى كافّة الخلق ونطق على لسانه بالحقّ فقال جلّ من قائل ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . ولو لم يكن في القرآن سوى هذه الآية لكان كافياً في الشهادة على جهل الجاحدين المكذّبين بإحاطة العلم الأزليّ بالجزئيّات فكيف ولا حرف منه إلّا وهو شاهد على عماهم وذلك أنّه ذكر في تلك الآية صفة الواسع مع ذكر العلم وفرق ذلك بأن قال ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ . وهذه إشارة لطيفة صريحة إلى أنّ كلّ موجود فله نسبة ما إلى وجهه فلولا تلك النسبة لما وُجد ذلك الشيء فإنّه يعاينه لأنّ وجهه إليه وهذا معنى علمه بالجزئيّات.

فصل ١٦

٥٩ ما دمتَ تطمع في التصديق بحقيقة العلم الأزليّ من طريق المقدّمات فأنت بعد تضرب في حديد بارد وإنّما التصديق الحقيقيّ به موقوف على ظهور نور في الباطن ينشرح به صدرك وتتّسع له حوصلتك فتدرك بذلك النور أنّ الله لا يشبه علمه علم الخلائق وينقطع عند ذلك طمعك عن الإيمان المستفاد من طريق العلم تحقّق يقيناً أنّه ما لم يظهر ذلك النور في الباطن لا يُتصوّر لأحد أن يؤمن بصفة العلم وسائر

١ (نسبة) في ج، ع، م؛ أ: يشبه. ٢ م: مقاطعها. ٣ ج: إذ لم يفهم؛ م: بأن لا يفهم.

الصفات حقّ الإيمان. وحقّ الإيمان أن تدع التصرّف رأساً في الصفات الأزليّة وتدع الطمع في التصرّف وما لم تصر كذلك فلا تطمع في حقيقة الإيمان وهذا النور المشار إليه يظهر في الباطن عند ظهور طور وراء العقل ولا تستبعدنّ وجود ذلك فوراء العقل أطوار كثيرة ويكاد أن لا يعرف عددها إلّا الله عزّ وجلّ وأقلّ ما يُدرك في هذا الطور مدركات يُحتاج في إدراكها إلى الاستدلال بالمقدّمات فالبصير لا يحتاج إلى الاستدلال في إدراك المبصرات إنّما الأكمه هو الذي لا يتمكّن من إدراكها إلّا من طريق الاستدلال عليها كما لو استدلّ باللمس على وجود المبصر وأمّا ما وراء الوجود من حقيقة اللون فليس ممكناً إدراكه لأنّ طريق الاستدلال في ذلك مسدود.

فصل ١٧

٦٠ العقل إنّما خُلق في الأصل لإدراك الأوّليّات التي لا يُحتاج فيها إلى المقدّمات فأمّا إدراكه لغوامض النظريّات من طريق الاستدلال والاعتبار بالمقدّمات فكأنّه خارج عن طبعه الأصليّ وكذلك وهذا كما أنّ حاسّة اللمس خُلقت في الأصل لإدراك الملموسات من حيث أنّها ملموسات فأمّا إذا استعملها الأكمه للاستدلال على وجود ما يُدرك بالقوّة الباصرة كان ذلك خارجاً عن طبعها أعني عن طبع الحاسّة اللامسة وكذلك الكتابة من خاصّيّة اليد فإذا كان الأقطع يكتب برجليه كان ذلك خارجاً عن طبعها فإنّ القدرة الأزليّة لم توجد الرجل للكتابة بل لأمور أخر واعلم من ذلك أنّ إدراك المعقولات الغامضة إلى طور وراء العقل يستغني في إدراكها عن المقدّمات فإنّ نسبته إلى الغوامض نسبة العقل إلى الأوّليّات.

فصل ١٨

٦١ لعلّك تقول هذا يعسر عليّ إدراكه فزده شرحًا فاعلم أنّ نسبة هذا الطور إلى مدركاته كنسبة قوّة ذوق الشعر إلى إدراك الفرق بين موزون الشعر ومزاحفه فتلك القوّة لا تحتاج في إدراك هذا الفرق إلى مقدّمة فكذلك الطور الذي وراء العقل لا يحتاج في إدراك الفرق بين الحقّ والباطل في غوامض المسائل إلى مقدّمات كما يحتاج إليها الناظر من طريق العقل لنقصانه وكما يحتاج الأعمى في إدراك وجود المبصرات إلى أن يتحرّك بقدمه إليها ثمّ يدرك وجودها بقوّة اللمس وكما يحتاج الذي لا ذوق له إلى مقدّمات العروض حتّى يدرك بواسطتها الموزون والمنزحف من الشعر.

فصل ١٩

٦٢ اعلم أنّ للعقل طريقًا إلى أن يدرك معنى القليل والكثير فإنّهما صفتان إضافيّتان للعدد وله طريق إلى أن يدرك أنّ القليل المطلق الذي لا أقلّ منه في الأعداد هو الاثنان وليس له طريق إلى إدراك الكثير المطلق الذي لا أكثر منه فاعلم أنّ نسبة الكثير المطلق في الإدراك إلى العلم الأزليّ كنسبة القليل المطلق فلا فرق في علم الله من إدراك الكثير المطلق والقليل المطلق ولا يمكن للعقل أن يدرك كيفيّة إحاطة العلم الأزليّ بذلك بل إدراكها موقوف على انفتاح عين في باطن الآدميّ يختصّ بها العارفون وحينئذ يتبيّن له حقيقة الطور الذي وراء العقل ونسبة العقل من هذه العين كنسبة الشعاع من الشمس وقصور العقل عن إدراك مدركات مملوكات هذه العين يضاهي قصور الوهم عن إدراك مدركات العقل فمن صادف من باطنه تصديقًا ضروريًا لا مجال فيه للشكّ.

٦٣ ولا ريب أنّ الكثير المطلق في علم الله عزّ وجلّ كالقليل المطلق من غير تفاوت فليتحقّق أنّ عين المعرفة قد انفتحت في باطنه وستصير ينبوعًا على القرب لأمثال هذه

الحكم فإيّاه ثمّ إيّاه وأن يدع للعمى إليها طريقاً فكثيراً ما يقع لها من الوقائع ما يعمّشها ويعديها وعلى الجملة يخرجها عن كونها مدركة لما يخصّها وليعتبر في ذلك بقوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾. واعلم أنّ نسبة تلك الوقائع من عين المعرفة كنسبة الوقائع التي تقع للأرض وتبطل استعدادها قبولها لفيضان نور الشمس من الأرض.

فصل ٢٠

٦٤ من خواصّ الطور الذي بعد العقل أنّه إذا أدرك وجود الحقّ تعالى لزمه شوق عظيم إليه لا تُتصوّر عنه العبارة وطلب تامّ والعقل أيضاً يلتذّ بإدراك وجود الحقّ ولكنّه ليس ذلك التذاذاً بإدراك كماله بل هو التذاذ به من حيث أنّه معلوم كما يلتذّ بسائر المعلومات من الحساب والطبّ وغيرهما ولعمري لا أنكر التفاوت في التذاذه بين إدراك الحقّ وبين إدراك مسألة حسابيّة ولكنّه كالتفاوت الذي يراه في سائر المعلومات من حيث شرفها وخستها بل من حيث أنّ بعضها فوق البعض بالطبع وكان العقل إذا التذّ بإدراك وجود الحقّ من حيث كونه معلوماً فهو شبيه بالبصر الظاهر إذا التذّ بإدراك مشموم طيّب من حيث أنّه مبصر ذو لون حسن فإنّ هذا الالتذاذ بعيد عن التذاذ حاسّة الشمّ برائحته عند إدراكها فكما أنّ إدراك البصير لوجود المسك بحاسّة البصر والتذاذه بإدراك لونه لا يظهر فيه عظيم شوق وكثير طلب للمسك كما هو في حقّ من يدرك رائحته بحاسّة الشمّ فكذلك من أدرك وجود الحقّ تعالى من طريق المقدّمات العقليّة فلا يلزم إدراكه الشوق الذي يلزم العارف وإنّما يلتذّ العقل بإدراك ذلك من حيث أنّه معلوم فقط.

فصل ٢١

٦٥ إذا انفتحت للسالك عين المعرفة فبقدر كمالها واستعدادها للإدراك تفيض عليه لطائف الأمور الإلٰهيّة وبقدر فيضان ذلك عليه يحصل له إلف مع عالم الملكوت وأنس بألطاف الحقّ وعشق بجمال الحضرة الأزليّة فيتناقص أنسه بهذا العالم على التدريج شيئًا فشيئًا ويتزايد بقدر ذلك أنسه بالعالم الإلٰهيّ وربّما تقيس الآن هذا الأنس على ما يحصل للنظّار من الأنس بالعلوم النظريّة وذلك ظنّ فاسد وخطأ شنيع[1] وخاطر فاحش وإنّما استُعير هاهنا لفظ الأنس وغيره من العشق والجمال وغيرهما ضرورةً فلا يغرّنك تشابهها في المعاني المختلفة فتضلّ من حيث لا تدري وتقنع من مسمّيّاتها بترّهات تخيّلها عقلك الضعيف منها.

فصل ٢٢

٦٦ من لم يُرزق من هذا الطور شيئًا ولم يصدّق عقله من طريق المقدّمات بوجوده فيكاد يستحيل له الإيمان بالنبوّة إذ النبوّة عبارة عن طور وراء هذا الطور الذي سبقت الإشارة إليه ومن لم يصدّق بذلك فهو بعيد غير مصدّق بالنبوّة أصلاً فما ظنّك بمن يكذّب بطور الوَلاية وهو الذي يظهر بعد العقل ولا يظهر طور النبوّة إلّا بعده وإن صدّق باللسان أو اعتقد بالقلب أنّه مصدّق بحقيقة النبوّة فهو مخطئ ويكون مثاله في اعتقاده هذا مثال الأكمه إذا اعتقد أنّه قد صدّق بوجود اللون وأدرك حقيقته حيث أدرك وجود المتلوّن بقوّة اللمس وهيهات فذلك بعيد عن إدراك حقيقة اللون.

---

١ (شنيع) في ج، ع، م؛ أ: لا يقرأ.

فصل ٢٣

٦٧ الإيمان بالنبوّة إيمان بالغيب عند العقل فإن شبّه العقل هذا الغيب بشيء ممّا هو حاضر لإدراكه فهو بعيد جدًّا عمّا هو الحقّ فإن حصل لك مثل هذا الإيمان فاعلم أنّك تؤمن بالنبوّة وإلّا فحرام عليك أن تأكل أو تشرب أو تنام إلّا عن ضرورة حتّى تصل إلى هذا الإيمان فإن قبلت هذه النصيحة أفلحت وإن أهملتها أهملت ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ . وسيتبيّن أمثالك عند ظهور صفة الموت قوله تعالى ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ .

فصل ٢٤

٦٨ تقول فما السبيل الذي يجب سلوكه على العاقل حتّى يتمكّن من الإيمان بالنبوّة فأقول سبيله سبيل من لا ذوق له في الشعر في مجالسته أهل الذوق حتّى يحصل غرضه فكثير ممّن لا يكون لهم ذوق الشعر ولا يدركون فرقًا بين المنظوم والمنثور صدّقوا بوجود قوّة في غيرهم شأنها إدراك ذلك الفرق وذلك لكثرة مجالستهم لأقوام لم يُحرموا تلك القوّة فصاروا مؤمنين بالغيب إيمانًا يقينيًّا.

فصل ٢٥

٦٩ صفات الله تعالى منقسمة إلى ما يُدرك من طريق النظر في بعض الموجودات واتّصافها بصفات مخصوصة كالحكيم والصانع والخالق وهذه الصفات يُتصوّر للعقل إدراكها فأمّا الصفات التي لا تعلّق لها بموجود أصلاً فإدراك ذلك وحقيقته موقوف على ظهور الطور الذي بعد العقل وذلك كصفة الكبرياء والعظمة والجمال والبهاء فإنّ كلّ ما يدركه العقل من معاني هذه الألفاظ بعيد عن حقائقها فإيّاك وأن تغترّ بظواهر الأمور فإنّ

الطبع مجبول على التجلّي بكلّ كمال مع التعرّي عنه فلا يعترف بالعجز بل يخوض فيما يجوز له الخوض فيه وفيما لا يجوز ويزاحم فيما يمكن له إدراكه وفيما لا يمكن مزاحمة الوهم للعقل من مدركاته وحسّك شاهد على تكذيب الطبع إذا قال لك إنّ العقل يمكن له إدراك الجمال الأزليّ أن تقول له الجميل يُترك للأجمل فما بالك لا تترك له ما سوّاه مع أنّ أجمل الأشياء بالإضافة إلى جماله أقبح من كلّ قبيح وعند ذلك يفزع الطبع إلى هَذَيانات أشفق على زماني أن أضيّعه في ذكرها وفي وجه الخلل في كلّ واحد منها ومن ساعدته هذه الدولة فُرُزق شيئًا من الطور المشار إليه حتّى أدرك به من الجمال الأزليّ قدرًا قُدّر له إدراكه فهذا القدر يكفيه شاهدًا على الغرض المطلوب.

فصل ٢٦

٧٠ العشق من خواصّ هذا الطور فلا شكّ عند من شاهد أحوال العشق أنّ العقل معزول عن إدراك تلك الأحوال إذ لا سبيل للعاشق إلى اتّصال معنى العشق الذي هو ملابس له إلى فهم عاقل لم يلابسه ذوقًا حتّى يكون هو بمنزلة العاشق الذي ذاقه وهذا شأن العقل في جميع الأحوال من الغضب والفرح والخجل فالعقل يدرك العلوم وليس إلى إدراك الأحوال له سبيل نعم يدرك وجودها ويحكم على كلّ واحد منها بأحكام كثيرة فأمّا ماهيّة العشق وسائر الأحوال فلا يدركها العقل من طريق المقدّمات كما يدرك المدركات المعقولة إذا سمع مقدّماتها من غيره حتّى ساواه في الإدراك.

فصل ٢٧

٧١ العشق يتبعه الطلب[١] وحقيقة الطلب أن يكون نظر الطالب بكلّيّته متوجّهًا إلى المطلوب وحينئذ يكون الطلب والوجدان توأمان واعتُبر في حقيقة الطلب

١ ع، م: الطلب للمعشوق؛ ج: الطلب.

بانجذاب الحديد إلى المغناطيس فإنّ الحديد إذا كان خالصاً انجذبه بكلّيّته إليه ولم يكن في طلبه تفرقة فإن اختلط بشيء من الذهب أو الفضّة أو غيرهما اقتضى ذلك نقصاناً في كمال الانجذاب ومهما لم يكن فيه شوب من غيره فالطلب الحقيقيّ وحينئذ يكون الوجدان أي الوصول إلى المغناطيس ضروريًّا وهذا معنى قولنا الطلب والوجدان توأمان.

٧٢ ثمّ الحديد قد يعوقه عن الانجذاب عائق من خارج فلا يكون قادحاً في كمال الطلب إنّما القادح أن يكون في ذاته شوب أو جصّ أو غيرهما ممّا اختلط به في معدنه والعائق الخارج قد لا يكون له عظيم تأثير في قطع طريق الطلب إلى الانجذاب عليه ومهما لم يكن في ذات العاشق شوب من شيء يولّي[1] وجهه للمعشوق كان بكلّيّته ملبّياً للإحرام إلى قبلته المطلوبة وهي وجه المعشوق وحينئذ يكون الطالب من أهل البداية في الطلب ويتجلّى له حقيقة قوله تعالى ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقوله تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ وقوله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ وقوله تعالى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الآية.

٧٣ والفرق بين ما يعوق العاشق من داخل ويكون[2] منزلته منه منزلة الذهب إذا اختلط بالحديد وبين ما يعوقه من خارج ويكون منزلته منزلة يد قاصرة تمنع الحديد عن الانجذاب يكاد يعسر إدراكه إلّا على من صار له قدم راسخ في ذلك وإيّاك ثمّ إيّاك يا جامداً على علمك ومغروراً بعقلك أن تنظر إلى هذا الفصل وأمثاله بعين الاستحقار وتمنح لها سنبلتك وتظنّ أنّ ذلك من الطامّات التي سلف بها بعض الجمع من الطالبين[3] ولم يصل إلى شيء من معانيها ذوقًا فيكون ممّن يقول فيه القرآن ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ وبقوله ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾. هذا نصيبك من الواجب عليّ في نصيحتك

---

١ (يولي) في ع، م؛ أ، ج: ليس يولي. ٢ (ويكون) في ج، ع، م؛ أ: وبين ما يعوقه من خارج ويكون. ٣ ج: تلقفها بعض الحمقى من الضالين؛ ع: يلقّفها بعض الحمقى الضالين من الباطلين؛ م: يتلقّنها بعض الحمقى من الباطلين.

وأمّا العارفون فسواء عليهم إيمانك وكفرك فمنزلة علمك الذي تدلّ به عندهم كمنزلة علم الخياطة والحجامة عند أهل التحقيق من العلماء وماذا على العالم المحيط علمه بحقائق المعلومات لو لم يحط بعلم الخياطة والحجامة .

فصل ٢٨

٧٤ كلّ من كان أوفر حظّاً من هذا الطور كان عقله أبصر بعجزه عن إدراك حقيقة الأوّل وإدراك حقيقة صفاته وآخر عالم من عوالم المدركات المعقولة أن يدرك العقل عجزه عن إدراك كثير من الموجودات وهذا العجز من أوائل ما يلوح في الطور الذي بعد العقل فكان آخر حدود طور العقل متّصلاً بأوّل حدود الطور الذي بعده كما أنّ آخر حدود التمييز متّصل بأوّل حدود العقل فمن خاصّيّة العالم إذا كمل في علمه أن يعلم يقيناً أنّه لا يُتصوّر له إدراك الحقيقة الإلٰهيّة وإنّما يدرك ذلك بعد إتقان مقدّمات كثيرة مشهورة عند العلماء النظّار ثمّ يكون بين إدراك العقل لعجزه بالمقدّمات وبين إدراك العارف لذلك العجز أعني لعجز العقل عن إدراك مدركات العارف بون بعيد وفرق عظيم ويكاد يكون ذلك العجز الذي يلوح للعقل بمنزلة العجز الذي يلوح للوهم عن إدراك مدركات العقل فإنّ عجز الوهم عن المعقولات الغامضة مستفاد عند الوهم من المقدّمات وأمّا العقل فإنّه يدرك عجز الوهم عن مدركاته من غير مقدّمة فغاية الوهم أن يعترف بالعجز عن إدراك العقليّات إذا قرّر العقل ذلك عنده بمقدّمات مسلّمة عند الوهم فكذلك العاقل إذا تقرّر عنده عجز العقل عن مدركات العارفين فقد بلغ آخر منازل العقل وأدرك منتهى ما يمكن إدراكه بالعقل فيستوطن حينئذ كعبة طلبه وها هنا يوافي السالك أوّل منزل من منازل طور المعرفة.

فصل ٢٩

٧٥ العقل عاجز بالضرورة عن إدراك عجزه الحقيقيّ وعن إدراك مدركات العارف كما أنّ الوهم بالضرورة عاجز عن إدراك حقيقة عجزه عن إدراك المعقولات والعقل هو الذي يدرك العجز الحقيقيّ الذي يلازم الوهم عن إدراك الأمور العقليّة فإذا كان العقل عاجز عن إدراك عجزه الحقيقيّ فكيف تعجّب المتعجّبون من قولنا إنّه عاجز عن إدراك حقيقة الحقّ وحقيقة علمه الذي هو ينبوع الوجود فاذاً يرجع تفاوت العقول في هذا النظر إلى تفاوت في الاستعداد لإدراك العجز فليس العجز الذي اعترف به محمّد صلّى الله عليه وسلّم مثل العجز الذي يعترف به أبو بكر لا بل وفي الاعتراف بالعجز عن الاعتراف بالعجز أيضاً تفاوت عظيم ولعلّ النفس إذا استغرقها العجز عن إدراك كمال العجز فقد صارت مدركة للعجز من طريق المعرفة لا من طريق المقدّمات ولعلّ قول الصدّيق الأكبر العجز عن درك الإدراك إدراك كان إشارة إلى شيء يشبه ذلك ولعلّ المعرفة المذكورة في قول الصوفيّة من عرف الله كَلَّ لسانُه قريبة في المعنى ممّا أشير اليه.

فصل ٣٠

٧٦ قد انتهى في الكلام إلى أن جاوزتُ حدود النظر العقليّ ويكاد ما خضتُ فيه يضرّ سماعه بأكثر الخلق فقليل منهم من يدرك ذلك ولا ينكره فالأولى بي الرجوع إلى الغرض المقصود وأقول ما أحوجك إلى استتمام سماع المعنى الذي كنّا فيه من قبل في حديث الصفات ودلالة أقسام الوجود على أقسام الصفات المتعدّدة التي هي بالحقيقة لا عين الذات ولا غيرها كما قال أهل الحقّ وأجمعوا عليه من عند آخرهم فإنّ الحكم بأمثال ذلك مستنكَر عند العقول الضعيفة.

فصل ٣١

٧٧ لعلّك تقول من المحال الظاهر في العقل الأوّليّ أن يكون الشيء لا عين شيء ولا غيره فهل لك أن تزيد ذلك بياناً فربّما يشفي به بعض الغليل فاعلم قول القائل أنّ هذا الشيء مثلاً لا عين ذلك الشيء ولا غيره من وجه واحد محال وليس أحد من العقلاء يصير إلى اعتقاد أمثاله ولكن إذا وُجد اعتباران لم يكن محالاً كما أن يقال مثلاً هذا الشيء ليس بمعدوم ولا موجود فإنّ ذلك محال قطعاً واستحالته للعقل في غاية الوضوح ولكنه ظاهر الصدق إذا اعتُبر في معناه وجهان وأُطلق على مقتضى معنيين مختلفين وبيانه أنّ الشيء قد يكون موجوداً من وجه ومعدوماً من وجه وهذا حكم كلّ موجود سوى الموجود الذي وجوده قائم بذاته فإنّ كلّ ممكن إذا نُظر إلى ذاته ولم يعتبر قيّوميّة الواجب له كان معدوماً من حيث ذاته ومهما نُظر إليه من الوجه الذي يلي قيّوميّة الواجب كان موجوداً وإلى مثل ذلك يشير القرآن العظيم والكلام القديم حيث يقول ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. وعلى شيء شبيه لذلك ينبّه قوله عليه السلام حيث يقول أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد[1] [طويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَاخَلَا ٱللّٰهَ بَاطِلُ

فصل ٣٢

٧٨ الصفات عين الذات إذا نُظر إليها من الوجه الذي يلي الذات[2] وهي غير الذات إذا نُظر إليها من الوجه الذي يلي انقسام[3] إلى الأقسام المتعدّدة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة متعدّدة وهذا له مثال واضح ولعلّ نفسك لا تقنع إلّا بعد سماعه فهو الذي يكسر سورة استبعاده لِما نحن فيه بالكلّيّة ويقطع دابر إنكار المتحذلقين عليه.

---

١ (لبيد) في ج،ع،م؛ أ: كثير. ٢ زائدة في ج،ع،م: وعلى هذه لا يكون فيها تغايرًا أصلاً والبتّة. ٣ ج،ع: هو انقسام الوجود؛ م: يلي أقسام الوجود.

٧٩ فاعلم أنّ العشرة لها في ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لا ينقسم ويدلّ عليه لفظ العشرة فأمّا إذا اعتُبر منها نسبة إلى الخمسة دُلّ عليها بلفظ الضعف وإذا اعتُبر نسبتها إلى العشرين دلّ عليها بلفظ النصف وإذا اعتُبر نسبتها إل الثلاثين دلّ عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن أن يدلّ عليها بألفاظ أُخر[١] وهذه الصفات التي وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه فإذا اعتُبر منها الوجه الذي يلي ذات العشرة لم يوجد فيها تعدّد وإذا اعتُبر منها الوجه الذي يلي أقسام الأعداد التي نسبت العشرة إليها تعدّدت باعتبار تلك النسب لتعدّد أعداد ونسبت إليها.

٨٠ وكذلك ذات واجب الوجود الحقّ يلزمها الوحدة وكيف لا يلزمها الوحدة والأحديّة التي هي أخصّ من الوحدة لازمة لها إذ لا يمكن أن يوجد لغيرها من الذوات خاصّيّتها الموجودة لها فالوحدة لازمة للشمس إذ ليس لها ثانية في الوجود لكن الأحديّة ليست لازمة لها إذ يمكن وجود ثانية لها فاذا نظرتَ[٢] عين الذات الواجبة إلى نسبتها[٣] صادفتها متّحَدة غير متكثّرة بوجه من الوجوه وإذا نظرت قلوب السالكين بعيونها إلى تلك الذات صادفتها كذلك من غير فرق ولكن لكثرة نسب تلك الذات إلى الموجودات الأُخر التي استحقّت الوجود من تلك الذات لا من نفسها احتاج السالكون بالضرورة إلى تغيير العبارات عنها حتّى تتأدّى حقائق تلك النسب بواسطتها إلى أفهام الضعفاء فإذا نسبت تلك الذات إلى صدور الموجودات منها وعُلم أنّها ممكنات وأنّ الممكن لا بدّ له من واجب يوجده سُمّيت عند اعتبار هذه النسبة التي بينها وبين الموجودات قدرة وربّما سمّيت إرادة عند اعتبار نسبة أخرى فالقلوب لضعفها تظنّ مغايرة بين القادر والقدرة والإرادة والمريد فهذا منتهى نظر العقل.

١ زائدة في ج،ع،م: عند اختلاف نسبتها إلى أعداد أُخر. ٢ زائدة في ج،ع: إلى نسبة. ٣ ج،ع،م: نفسها.

فصل ٣٣

٨١ فاعلم إذًا أنّ قولنا الصفات لا عين الذات ولا غير الذات حقّ وصدق ولا يجوز المصير إلى خلافه لأحد من المسلمين أصلاً ومن صار إليه فقد خلع من عنقه ربقة الدين فهو مذهب السلف الصالحين والأئمّة المنقرضين ولنا فيهم أسوة حسنة وقدوة مرضيّة وقد أجمعوا على ذلك قاطبة للضرورة التي يعرفها المحقّقون من كبار العلماء دون أهل الظاهر من الرسميّين فمن صار إلى إثبات الذات ولم يثبت الصفات كان جاهلاً مبتدعاً ومن صار إلى إثبات صفات مغايرة للذات حقيقة المغايرة فهو ثنويّ كافر ومع كفره جاهل.

فصل ٣٤

٨٢ اعلم أنّ الله تعالى وصف نفسه في كتابه الكريم غير مرّة بصفات متعدّدة كالقدرة والمشيئة والإعزاز والإذلال والسمع والبصر والإحياء والإماتة فقال عزّ من قائل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾. وقال أيضاً ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقال ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾. وقال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. وقال ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾. فانظر كيف تعدّدت هذه الصفات بتعدّد نسب الموجودات إلى ذاته التي هي مصدرها وكيف اتّحدت هي في ذواتها من الوجه الذي يلي الذات ثمّ قِس على ذلك سائر الصفات فما أراك تعجز عن إدراك شيء من النسب في كلّ صفة إن كنت من الممارسين للغوامض العقليّة واجتهد أوّلاً في فهم ما أقول لك.

فصل ٣٥

٨٣ من المعلوم الظاهر الذي لا يجوز أن يتمارى فيه أنّ الحقيقة الأزليّة التي صدر عنها الوجود إذا نُظر إليها واعتُبر ما وُجد منها وما لم يوجد منها بعد ولكنّه يوجد في أجله المسمّى ووقته المعلوم كان لِما وُجد منها نسبة لا توجد تلك النسبة لِما لم يصدر عنها بعد فهذا هو اختلاف الموجودات والمعدومات في النسبة إليه ثمّ الموجودات تختلف في نسبتها إليه فليست نسبة الملك إلى ذاته كنسبة الإنسان ولا نسبة الإنسان كنسبة البهائم ولا نسبة البهائم كنسبة النبات ولا نسبة النبات كنسبة الأرض والسموات ولا نسبة البياض كنسبة الحمرة ولا نسبة العزيز في الدنيا والآخرة كنسبة الذليل فيهما.

٨٤ واعلم أنّ الله عزّ وجلّ إذا نسبت إليه كلّ من عزّ بوجه من الوجوه اقتضت هذه النسبة أن يُسمّى معزًّا وإذا نسبت إليه أهل الذلّ اقتضت النسبة أن يُسمّى مذلًّا فإذا نُظر إليه من حيث هو مصوّر الحياة والموت قيل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾. وإذا نُظر إلى إحاطة علمه بوجودات يدركها الإنسان بحاسّتَيِ السمع والبصر قيل ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وإذا نُسبت إليه جميع الموجودات ورُؤي كلّ واحد منها متعلّقا به قيل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإذا نُسبت إليه الموجودات الحاصلة منه والمعدومات التي لم تحصل منه بعد وجودها قيل ﴿هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. فالقدرة متلقّاة من نسبة الموجودات والمعدومات إليه والإرادة والمشيئة من نسبة الموجودات إليه فقط وأمّا الإرادة فمتلقّاة من الموجودات المَلَكوتيّة[١] وأمّا المشيئة فمتلقّاة من الموجودات المُلْكيّة[٢] والمحيي والمميت متلقّيان من نسبة كلّ حيّ وميّت إليه وقِس بهذا القدر سائر الصفات.

١ (المَلَكوتيّة) في ج، ع، م؛ أ: المعلقيّة. ٢ (المُلْكيّة) في ج، ع، م؛ أ: المدركيّة.

فصل ٣٦

٨٥ ذواتنا ناقصة وإنّما يكمّلها تمام الصفات ولذلك تحتاج قدرتنا إلى الإرادة وإرادتنا إلى العلم فالقدرة لا تكفي في حصول المقدور إلّا مع الإرادة هذا في حقّنا أمّا ذات الله تعالى فهي كاملة لا تحتاج في شيء إلى شيء وكلّ ما يحتاج إلى شيء فهو ناقص والنقصان لا يليق بالموجود الواجب فعلم الله تعالى بالشيء لا يغاير إرادته ولا إرادته تغاير قدرته فذاته كافية الكلّ في الكلّ فهي بالنسبة إلى المعلومات علم وبالنسبة إلى المقدورات قدرة وبالنسبة إلى المرادات إرادة وهي واحدة ليس فيها اثنينيّة بوجه من الوجوه.

٨٦ والاثنينيّة لا يُتصوّر وجودها في الواجب أصلاً إذ لا يجوز أن يكون شيئان وكلّ واحد منهما واجب بذاته وذلك لأنّ كلّ شيئين فلا بدّ وأن يكون بينهما مغايرة في شيء وإلّا لم يتحقّق بينهما اثنينيّة ولو كان في الوجود واجبان لا فرقًا في شيء ثمّ كان ما يفترقان فيه لا يخلو إمّا أن يكون ضروريًّا لكلّ ما هو واجب بذاته[1] أو لا يكون ضروريًّا ولو كان ضروريًّا لكان موجودًا في الواجبين على التساوي ولو لم يكن ضروريًّا لزم أن يكون وجوده مُعلّلاً بسبب وكلّ ما كان كذلك فالواجب يتنزّه عنه فإن لم يكفيك هذا القدر في هذه المسألة فعليك بطلبها من كتب استوفى أصحابها كلامَهم عليها فإنّ وقتي لا يتّسع لأكثر من ذلك وليس غرضي في هذا الكتاب تطويل ما فرغ العلماء من إقامة البرهان عليه فليُطلب من معدنه.

١ (وذلك . . . واجب بذاته) في ج،م؛ ع: وذلك لأنّ كلّ شيئين فلا بدّ وأن يكون بينهما مغايرة في شيء وإلّا لم يتحقّق منهما اثنينيّة فلو كان في الوجود واجبان لافتقرا في شيء ثمّ كان ما يفترقان فيه لا يخلو إمّا أن يكون ضروريًّا لكلّ ما هو واجب بذاته؛ أ: واجب بذاته.

فصل ٣٧

٨٧ فإن قلت فما قولك في النسبة التي بين الواجب وبين السموات والأرض مثلاً هل كانت موجودة في كلّ وقت أم لا فإن كانت موجودة في كلّ وقت فهذا يفضي إلى قدم السموات والأرض وإن لم تكن موجودة فكيف وُجدت بعد العدم ألعلّة ظهرت في ذات الواجب بعدما لم تكن وذلك محال أو لأثر ظهر في معدوم كان مستمرّ العدم إلى وقت مخصوص ولم يكن يظهر هذا الأثر فيه وذلك أيضاً محال أو وُجد من غير ظهور شيء حادث بعدما لم يكن وذلك أيضاً محال.

٨٨ فاعلم أنّ العلماء قد أكثروا في ذلك والحقّ الذي لا ريب فيه أصلاً عند أولي البصائر أنّ نسبة السموات والأرض إلى الله عزّ وجلّ نسبة شيء هو الآن معدوم ويحصل وجوده غداً مثلاً فليت شعري ماذا يقول القائل في معدوم ظاهر العدم إذا وُجد بعد ذلك يقول ظهر في القديم أثر أو في هذا المعدوم أثر أو وُجد المعدوم من غير ظهور أثر وكلّ ذلك محال ولا يبقى إلّا أن يقال العلّة في وجوده هو الله تعالى وهو موجود على حالة واحدة أزلاً وأبداً وإنّما لم يحصل منه وجوده قبل ذلك لفقد شرط جعل وجوده مستحقّاً للوجود ومستعدّاً لقبول نور الموجود[١] الأزليّ.

فصل ٣٨

٨٩ المعدوم إذا أفاض عليه صورة الوجود كصورة فاكهة مثلاً كانت معدومة ثمّ صارت بعد العدم موجودة فلا بدّ وأن يكون لوجود الصورة بعد عدمها سبب والسبب في وجود كلّ موجود هو الله تعالى فإنّ كلّ موجود سواه ليس له ذات من حيث الحقيقة ولا وجود فكيف يكون سبباً. نعم يجوز أن يُسمّى سبباً في النظر العامّيّ كما يُسمّى موجوداً فكما أنّ كونه موجوداً ليس له أصل إلّا من حيث يلي الذات القديمة فكذلك كونه سبباً

١ ج،ع،م: الوجود.

٩٠ لا يجوز أن يكون له أصل إلّا من ذلك الوجه فكما لا حقيقة لوجوده فلا حقيقة لسببيّته التي هي صفة[١] تابعة من توابع الوجود ولا يبقى هاهنا إلّا أن يقال إن كان السبب هو الله فلِمَ لم يُوجد المسبَّب والسبب موجود فنقول لفقد شرط من شروطه وأنا أزيد ذلك بياناً فالحاجة داعية.

فصل ٣٩

٩١ لعلّك تقول من المعلوم الظاهر عند أهل النظر أنّ الله تعالى لا يكون سبباً إلّا لشيء واحد من الموجودات ثمّ يكون ذلك الشيء سبباً لوجود شيء آخر وهذا الشيء الثاني سبباً لشيء ثالث وهكذا يتداعى هذا الأمر إلى وجود الإنسان والواحد من كلّ وجه لا يجوز أن يصدر عنه إلّا شيء واحد فاعلم أنّ هذه مجازفة عظيمة من الكلام لا يجوز أن يطلق اللسان بأمثاله فهو كفر صريح عند ذوي البصائر فلا فرق بين من يثبت قديمين كلّ واحد منهما واجب بذاته وبين من يثبت سببين كلّ واحد منهما يصلح للإيجاد. لا بل الحقّ الذي لا مرية فيه أنّه ليس في الوجود موجود يصلح لأن يكون سبباً لوجود شيء آخر إلّا الله عزّ وجلّ. وحقيقة السببيّة ترجع إلى إيجاد صورة الوجود في معدوم ولا ترسم في[٢] وجود السبب حتّى يوجد منه المسبّب فإنّ المعدوم لا يصلح للسببيّة ولا بدّ للسبب من دوام الوجود حتّى يصلح لأن يحفظ دوام الوجود على المسبّب وليس من الموجودات الممكنة ذات بوجود حقيقيّ وإنّما الوجود الحقيقيّ والذات الواجبة لله تعالى. فما لا وجود له من حيث الحقيقة فكيف يكون سبباً لغيره وما لا وجود لنفسه كيف يوجد غيره والسبب بالحقيقة ما كان كامل الذات بذاته ثمّ فضل فيه الوجود حتّى فاض على المعدومات وخلع عليها صور الوجود وأمّا ما لا يكون كاملاً بذاته بل وجوده وصفات وجوده متعلّقة بوجود غيره وقائمة به فيكون في ذاته في غاية النقصان لا يستحقّ الإيجاد ولا الوجود.

١ (صفة) في ج، ع، م؛ أ: منه. ٢ ج، ع، م: لا بدّ من.

فصل ٤٠

٩٢ هـذا له مثال في الأمثلة العامّيّة فإنّ الشمس إذا فاض عنها النور على القمر ليلاً وفاض نور القمر على الأرض فلا شكّ أنّ نور القمر غير مستحقّ الوجود بذاته بل من الشمس فكيف يصلح نور القمر مع هذا النقصان أن يُجعل سبباً لوجود النور الفائض على الأرض وليتأمّل الناظر في هذا تأمّلاً شافياً وليستفت في ذلك نفسَه فلا شكّ في أنّه لو نظر بعين الإنصاف رأى نور الشمس أولى بأن يجعل سبباً لنور الأرض من نور القمر فإنّ نور القمر إذا لم يكن له وجود فكيف يكون له إيجاد والإيجاد فوق الوجود بالضرورة والوجود قبل الإيجاد بالطبع ثمّ لن يُسمّي نور القمر سبباً من طريق الاصطلاح فلا مشاحّة في ذلك ولكن لا يجوز أن يغفل عن تبعيّة نور القمر لنور الشمس وأنّه لولا نور الشمس لم يكن لنور القمر أصلاً وجودٌ. فالحقّ أنّ من أثبت صلاحيّة السبب بغير الواجب الحقّ بذاته القيّوم في صفاته فقد أشرك وأثبت له نظيرًا وكان كمن أثبت القمر مشاركاً للشمس في إيجاد النور ولا شكّ أنّ الواجب لو فُرض عدمه لم يبق في الوجود شيء أصلاً فإذا لا يستغني عن الواجب شيء في شيء أصلاً إذ ليس يبقى مع عدمه وجود شيء أصلاً فالعجب كلّ العجب من عاقل يفهم ذلك الفهم ثمّ يتوقّف في كونه عن أولى بالسببيّة من غيره.

فصل ٤١

٩٣ الحقّ أنّ قولنا الواجب أولى بالسببيّة من غيره يُشعر بنقصان عظيم في الواجب وكأنّه يشير إلى استحقاق غيره لشيء ولكنّه أولى بالاستحقاق واستحقاق غيره لشيء محال[١] إلّا من ذاته الواجبة ويبقى هاهنا من الإشكال أن يقال إن كان الواجب كاملاً في السببيّة فلِمَ تأخّر وجود المسبّب عنه وتأخّر وجود المسبّب عن السبب الموجود بكماله

١ (بالاستحقاق واستحقاق غيره لشيء محال) في ج، ع، م: أ: بالاستحقاق غيره لشيء واستحقاق غيره محال.

محال وإن كان ناقصاً في السببيّة وتمّ بعض الشروط سببيّتُه فقد ثبت له شريك في كونه سبباً فما بالكم لا تجوّزون تسمية غيره سبباً مع اعترافكم بأنّ وجود بعض الأشياء شرط في وجود البعض.

٩٤ وهذا إشكال يسهل علينا دفعه فإنّا نقول وجود الشرط إنّما أثّر في استعداد المشروط في الوجود[١] لا في سببيّة الذات الواجبة كما أنّ انقشاع السحاب إنّما يؤثّر في استعداد الأرض لإشراق نور الشمس وليس له تأثير أصلاً في تكميل الشمس وليس لقائل أن يقول إنّ انقشاع السحاب شرط تتمّ به سببيّة الشمس لوجود المشروط وهو إشراق الأرض[٢] وهذا غاية في البيان لا يُتصوّر وراءها غاية في التمثّل وصناعته ونور القمر إذا كان مستفاداً من نور الشمس وهو في ذاته فان وهالك ومعدوم فلا نور من حيث الحقيقة إلّا نور الشمس فكان نور القمر هو نور الشمس حتّى كأنّه هو هو فكيف يجوز مع ذلك أن يُجعل القمر شريكاً للشمس في إفاضة النور وكما لا نور إلّا نور الشمس فلا وجود إلّا وجود الحقّ فكان وجود الموجودات ليس خارجاً من وجود الحقّ كأنّه[٣] هو هو.

فصل ٤٢

٩٥ كلّ ما في الوجود فهو فان من حيث الحقيقة ولا بقاء إلّا لوجه[٤] الحيّ القيّوم كما أنّ الصورة التي في المرآة فانية بالحقيقة ولا بقاء إلّا للصورة الخارجة هذا من حيث النظر العامّيّ في القناعة بالأمثلة المحسوسة وإلّا فالصورة الخارجة مع المرآة في نظر العارف فانية أيضاً حسب فناء الصورة الداخلة في المرآة من غير تفاوت.

---

١ ج: المشروط لوجود المشروط؛ ع، م: المشروط للوجود. ٢ زائدة في: لأنّا نقول انقشاع السحاب زواله والزوال أمر عديّ والعديّ لا يصلح للشرطيّة في أمر وجوديّ وهو الإيجاد للشيء فكيف يصلح للسببيّة. ٣ ج، ع: بل. ٤ ع: لوجود.

فصل ٤٣

٩٦ المرآة عبرة عظيمة لأُولي الألباب ومن نظر في المرآة نظرًا شافيًا ولم يخلّ له كثير من المشكلات فليس يستحقّ أن يُعدّ في زمرة العقلاء ولعمري لم ينظر في المرآة عاقل إلّا ويعتور عقله إشكالات عظيمة وتشكّك في جليّات الأمور ولكن تخلّ له مع ذلك مشكلات كثيرة[١] ولو لم يكن من منافع الحديد سوى المرآة لكان يكفي ذلك شاهدًا على صدق قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾. وكيف وفيه من المنافع ما يستحقر معها المرآة على أنّ فيها من المنافع عجائب عظيمة كثيرة لا يمكن إحصاؤها للعقل والمرآة بالحقيقة مرآة العقلاء إذ يرون فيها صورة العقل العاجز عن إدراك حقائق كثيرة فحسبك بها شاهدة على أنّ العقل معزول عن إدراك كثير من المحسوسات الظاهرة فضلاً عن المعقولات الخفيّة فمن أراد أن يشاهد عقله على صورته التي هو عليها من العجز فليكثر النظر في المرآة فنعمت مبصرة للعقل[٢] بعجزه وكذبه في دعاويه العريضة الطويلة لنفسه من إدراك حقائق الأمور الإلٰهيّة ولست أنكر أنّ للعقل خُلُق[٣] لأدراك أمور عظيمة من الغوامض ولكنّه لا يُعجبني إذا عدا طوره في دعواه وجاوز قدره وتخطّاه.

فصل ٤٤

٩٧ المرآة تظهر فيها صورة مطابقة للصورة خارجة عن طريق الانطباع والعقل في أوّل النظر وبادئ الرأي يفرق بين الوجود الخارج والوجود الداخل فأحدهما مستتبع والآخر تابع ولا يُتصوّر أن يشكّ أحد في ذلك وحاصل الوجود التابع يرجع إلى نسبة حاصلة على وجه مخصوص بين صورة خارجة وبين المرآة. فإذا طالع البصر تلك النسبة الحاصلة بينهما أدرك الصورة الداخلة التابعة المعدومة من حيث الحقيقة

١ (ولكنّ تخلّ له مع ذلك مشكلات كثيرة) في ج، ع: أ: وكذلك يختيل له مشكلات كثيرة؛ م: ولكنّ تخلّ له كثير من المشكلات. ٢ (للعقل) في ج،ع، م؛ أ: للعقلاء. ٣ ج،ع، م: العقل خُلق.

الموجودة من حيث الظاهر ولا يشكّ العقل في أنّ وجود الصورة الداخلة ليس موجوداً بذاته مستقلاً بالوجود[١] بل هو موجود بالإضافة إلى أربعة أمور وهي المرآة والصورة الخارجة والنسبة الحاصلة بمطالعة البصر[٢] لذلك وإذا بطلت هذه النسبة بطل وجود تلك الصورة الداخلة وعلم العاقل أنّ تلك الصورة لم يكن لها استقلال بالوجود وإن تصوّر وجود المرآة أو الماء أو ما يضاهيهما في محاكاة الصورة[٣] بحيث كان يحاكي الصور ولا يتصوّر عليه تغيّر لم يدرك أحد من الخلائق أنّ تلك الصورة الداخلة تابعة في الوجود للصورة الخارجة وأنّ هذه الخاصّيّة للمرآة والماء لا يشاركهما فيه جسم من الأجسام كالطين والجصّ وأمثالهما ولكن لمّا كانت الصورة الخارجة تتغيّر وكانت النسب الحاصلة أيضاً تتغيّر وعند ذلك تتغيّر الصورة الداخلة حسب تغيّر الصورة الخارجة على منهاج واحد لم يتخالج العقلاء ريب في أنّ الداخلة تابعة الوجود للخارجة وأنّ الخارجة متقدّمة الوجود[٤] على الداخلة تقدّماً رتبيّاً لا زمانيّاً.

فصل ٤٥

٩٨ ليتأمّل العاقل تأمّلاً صادقاً أنّه لو لم تكن المرآة موجودة وحُكي له ما يشاهده منها من انطباع الصور فيها هل كان يصدّق بوجود ذلك أو لا فما عندي أنّ واحداً من أهل الإنصاف الناظرين بالبصائر الصافية يشكّ في أنّه كان يكذّب بوجود ذلك ويقيم على استحالته برهاناً وكان يستحيل أن يظهر له وجه الخلل في برهانه ذلك. فاعتبر الآن ولا تبادر إلى التكذيب فيما لا يدركه عقلك الضعيف فإنّ العقل خُلق لإدراك بعض الموجودات كما أنّ البصر خُلق لإدراك بعض الموجودات وهو عاجز عن إدراك المشمومات والمسموعات والمذوقات وكذلك العقل يعجز عن إدراك كثير من الموجودات نعم هو مدرك لأشياء محصورة قليلة بالإضافة إلى كثرة الموجودات التي هو عاجز عن

١ ج: ليس ذاتيًّا أعني به أنّه ليس موجودًا بذاته مستقلاً بالوجود؛ ع، م مثل ج. ٢ ع: ومطالعة البصير؛ ج، م: ومطالعة البصر. ٣ ج، ع، م: الصور. ٤ ج، ع، م: في الوجود.

إدراكها ثمّ جميع الموجودات بالإضافة إلى العلم الأزليّ كالذرّة بالإضافة إلى العرش لا بل والذرّة بالإضافة إلى العرش شيء ما والموجودات كلّها بالنسبة إلى علم الله تعالى ليست شيئاً أصلاً وإنّما ذكرت ذلك مخافةً أن يبادر عقلك الضعيف ويقول المعقولات لا تتناهى فكيف جعلتها محصورة متناهية فإنّ من كانت الموجودات كلّها في نظره محصورة لا بل ولا تكون شيئاً فلا يكون عنده للحكم بذلك[1] عظم خطر إنّما امتناع الحصر في نظره يوجد في الصفات الأزليّة كالقدرة والإرادة والعلم والكرم المفيض صور الموجودات عليها وهذا الكرم لازم للذات فإنّها لمّا كانت كاملة وفوق الكمال لا جرم كان الكرم المقتضي لإفاضة خلع الوجود على المعدومات لازماً لها كما أنّ الوجوب لازم لها مثلاً. ولو خلت الذات عن هذا الكرم كانت ناقصة وهذا كما أنّ الشمس إذا أشرقت بها الآفاق كان ذلك من كمال إشراقها ولو لم تكن هذه الصفة موجودة للشمس كانت ناقصة وكان يعوزها شيء من كمال نورانيّتها ولله ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فصل ٤٦

٩٩ أولو الألباب يعتبرون بالمرآة من وجوه كثيرة ويكاد حصر تلك العبر يستحيل وممّا يعتبرون به أنّهم إذا نظروا فيها شاهدوا حقيقة قوله تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وقوله عليه السلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وعلموا أنّ نسبة الملك والملكوت في الوجود إلى وجه الحيّ القيّوم نسبة الصورة الداخلة في المرآة إلى الصورة الخارجة إذ ليس للملك والملكوت حقيقة الوجود وإنّما وجودهما تابع لوجود الوجه الحقّ الحقيقيّ الوجود فإنّ بعض الخلق لا بل أكثرهم يظنّون أنّ الموجودات التي يشاهدونها في الدنيا لها وجود حقيقيّ. فإذا بطلت النسبة الحاصلة بين أبصارهم وبين تلك الموجودات المحسوسة انكشف الغطاء عن أبصارهم وارتفع اللبس[2] وانتبهوا من نومهم

١ ج،ع،م: بأمثال ذلك. ٢ ج،ع،م: التلبيس.

وعلموا يقيناً أنّ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ . اللّٰهمّ إلّا إذا قام موجود أزلاً وأبداً بقيّوميّة وجهه الباقي فيكون القائم من موجود الأبديّة وجود القيّوم وسرمديّته جلّ الواحد القهّار . وحينئذ ينادى الخلقَ[1] من بطنان العرش بقوله تعالى ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ ، ويشاهدون[2] ذلك مشاهدة لا يبقى معها ريب ومن طالع هذه الألفاظ ولم يقف على حقائق معانيها فليتوقّف في الإنكار فوراءها من عجائب الأسرار ما لا يفي بشرحه لسان ولا يعرب عن حقيقته بيان.

فصل ٤٧

رجعنا إلى حديث السرى. لا شكّ أنّ الله عزّ وجلّ خلق في الإنسان معنى يسمّى في اصطلاح الخلق قدرة والإنسان يقدر بذلك المعنى على أن يتكلّم بعد سكوته متى شاء فالسبب الظاهر من حيث نظر عوامّ الخلق لوجود الكلام بعد عدمه هو المسمّى قدرة ومعلوم أنّ القدرة تكون موجودة ولا يوجد المسبَّب وهو الكلام لا لخلل في السبب بل لفقد شرط وهو المشيئة فوجود الكلام من سببه المسمّى قدرة في الاصطلاح موقوف على وجود شرط المشيئة ومحال أن يحصل المشروط والشرط معدوم والمحال لا يكون مقدوراً إذ لا يظهر أثر القدرة إلّا في مقدور كما لا يظهر أثر البصر إلّا في مبصر ولا أثر الشمّ إلّا في مشموم وكذلك في سائر المدركات فإنّ الكواكب المحجوبة بسحاب مثلاً إذا لم تتمكّن القوّة الباصرة من إدراكها لم يكن ذلك دليلاً على خلل في الأبصار فكذلك إذا كان الشيء المعدوم محجوباً بحجاب عدم الشرط فإنّ القدرة الأزليّة لا توجده ما لم ينقشع حجاب عدم الشرط لا لخلل في القدرة بل لأنّ المعدوم بعد محال الوجود فإذا انقشع عنه الحجاب صار ممكناً ويصير من القدرة الأزليّة واجباً كما لو انقشع حجاب السحاب فصارت الأرض مستعدّة لقبول نور الشمس عند الانقشاع.

١ (ينادى الخلقَ) في ج، ع، م؛ أ: ينادى الحقّ. ٢ (يشاهدون) في ع؛ أ، ج، م: يشاهد.

فصل ٤٨

١٠١ نسبة المحال إلى القدرة الأزليّة كنسبة المشموم مثلاً إلى العين المبصرة فلا يصير المشموم أبدًا مبصرًا لا لخلل في قوّة الأبصار بل لأنّه ليس بمبصر والمحال لا يفيض عليه الوجود من القدرة الأزليّة لا لخلل في القدرة بل لأنّ المحال غير مقدور ونسبة المعدوم الممكن بذاته إلى القدرة الأزليّة كنسبة المبصر المحجوب بحجاب إلى قوّة البصر. فإنّه إذا ارتفع الحجاب أدركته القوّة المبصرة فكذلك المعدوم الممكن بذاته إذا وُجد شروطه أوجدته القدرة الأزليّة وما دام يعوزه شرط فهو بعد محال الوجود لغيره لا لذاته والممكن بذاته ما يجب وجود شروطه والمحال بذاته ما يستحيل وجود شروطه وتأمّلْ في ذلك تأمّلاً شافيًا ولا تعترض عليه بتحذلقك فتزلّ قدمك وأنت لا تدري.

فصل ٤٩

١٠٢ قد يقول أهل النظر إنّ الإمكان للممكن من ذاته والاستحالة للمستحيل بذاته ومن ذاته فيتخيّل الضعيف من هذه الألفاظ معانٍ فاسدة ويخطئ فيها بأنواع فاحشة من الخطأ وكيف يكون الممكن من ذاته[١] وذاته ليست من ذاته بل من غيره. فإذا كانت ذاته من غيره كان الإمكان الذي هو صفة من صفاته أولى أن يكون من غيره فإنّ استناد الذوات الموصوفة إلى موجدها بدرجة واستناد الصفات التابعة إليه بدرجتين. هذا حكم الممكنات في إمكانها إذا وُجدت وأمّا الممكن الذي لم يوجد فليس له بعد ذات ولا صفات فكيف يُطلب له ولصفاته سبب والمعدوم لا يُطلب له سبب وإنّما يُطلب السبب لموجود بعد العدم وإنّما ذكرت ذلك لأنّ قولهم الإمكان للممكن من ذاته له معنى صحيح وكثيرًا ما تغلط الأوهام فيه فليُستعن بما ذكرته في الاحتراز من تغليط الوهم وهذا بعينه هو الجواب عن قولهم الاستحالة للمستحيل

١ ج،ع،م: الإمكان للممكن من ذاته.

من ذاته فالمستحيل إذا لم يكن له ذات فكيف يُطلب لاستحالته التي هي صفة تابعة سبب وإذا قيل العدم للعدم[١] من ذاته كان له معنى صحيح عند الراسخين في العلم ولا يجوز أن يُتوهّم للمعدوم ذات ثمّ يُتوهّم العدم شيئاً موجوداً لتلك الذات فإنّ العدم معناه صفة والصفة لا توجد إلّا بعد وجود الموصوف فكيف يوجد العدم والمعدوم الذي هو موصوفه معدوم فأوهام الضعفاء تغلط كثيرًا في أمثال ذلك والمحقّقون يتيسّر[٢] عليهم الاحتراز ممّا يضاهي هذه الأغاليط.

فصل ٥٠

١٠٣ والسموات والأرضون وُجدت حين وجدت من القدرة الأزليّة ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد حتّى يقال لِما لم يوجد قبل ذلك فإنّ القبل والبعد عارضان من عوارض الزمان[٣] لا يوجد إلّا بعد وجود الأجسام فكما لا يجوز أن يكون قبل وجود الأجسام فوق ولا تحت لأنّهما عارضان من عوارض المكان فكذلك لا يجوز أن يكون قبل وجود الأجسام قبل ولا بعد لأنّ ذلك موقوف الوجود على وجود الزمان والزمان موقوف الوجود على وجود الحركة والحركة موقوفة الوجود على وجود الأجسام وكان الزمان ظرف الحركة كما أنّ المكان ظرف الجسم.

فصل ٥١

١٠٤ قول القائل العالم قديم بالزمان هوس محض لا طائل تحته إذ يقال له ما الذي تعني بالعالم فإمّا أن يقول أعني به الأجسام كلّها كالسموات والأمّهات وإمّا أن يقول أعني به كلّ موجود سوى الله تعالى وعلى هذا تكون النفوس والعقول والأجسام كلّها داخلة تحت لفظ العالم فإن قال أعني بالعالم كلّ موجود ممكن من الأجسام وغيرها

١ ج،ع،م: للمعدوم. ٢ (يتيسّر) في ج،ع،م؛ أ: يتعسّر. ٣ ج،ع،م: الزمان، والزمان.

فعلى هذا يكون أكثر الموجودات المندرجة تحت لفظ العالم غير متوقّف الوجود على وجود الزمان بل يكون بالضرورة سابق الوجود عليه فكيف يقال العالم قديم بالزمان وأكثر موجودات العالم سابق الوجود على الزمان، وإن قال أعني بالعالم الأجسام كلّها فلا يجوز على هذا الوجه أيضاً أن يقال الأجسام قديمة بالزمان فإنّ معنى ذلك أنّ الأجسام موجودة مذ كان الزمان موجوداً فيكون مشعراً بأنّ الزمان سابق على الأجسام في الوجود وليس كذلك فإنّ الأجسام سابقة الوجود على الزمان والزمان متأخّر الوجود عنها وإن كان كذلك بالرتبة والذات. فإن قال قائل ليس المراد بقولنا العالم قديم بالزمان ما ذكرتموه فنحن لا نفهم من قوله إلّا ذلك وقد تكلّمنا على ما فهمنا وأمّا ما لم نفهمه من مقاصده فالكلام عليه من شأن العميان فعليه أن يبيّن معناه على ما فهمه فإن كان صدقاً وحقّاً وافقناه في ذلك وإلّا تكلّمنا عليه حسب الوسع والطاقة.

فصل ٥٢

١٠٥ الحقّ في ذلك أن يقال كان الزمان موجوداً مذ كانت الحركة موجودة وليس يجوز أن يقال كانت الحركة موجودة مذ كان الزمان موجوداً فإنّ ذلك وإن كان له وجه ما فهو فاسد النظر[١] جدّاً فإذا لم يجز ذلك فكيف يجوز أن يقال كانت الأجسام موجودة مذ كان الزمان موجوداً ولو لم تُوجد الأجسام[٢] إلى الآن لعدم شرط ثمّ إن وُجدت الآن لوجود ذلك الشرط كان ذلك جائزاً ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد ولا حين وُجدت فإنّما وُجدت كذلك من غير فرق فإن زعمت أنّ الأجسام كانت موجودة مذ كان الحقّ موجوداً فهو خطأ عظيم وهو اعتقاد أكثر العلماء الذين يزعمون أنّهم أربوا في صدق النظر على الأوّلين والآخرين وممّا لابدّ لك في هذا المقام من الإحاطة به أن تعلم أنّ الأجسام لا تُوجد أصلاً حيث يوجد الحقّ لا الآن ولا قبله ولا بعده ومن صار

١ ج،ع،م: النظم. ٢ ج،ع: الأجسام مثلاً.

إلى أنّ العالم موجود الآن مع وجود الحقّ فهو مخطئ خطأً عظيماً حيث الحقّ فلا زمان ولا مكان وهو محيط بالزمان والمكان وسائر الموجودات فإن سبق وجوده على كلّ شيء مساو فإنّه سابق الوجود على وجود العالم كما إنّه سابق الوجود على وجود صورة هذه الكلمات المسطورة في هذا الكتاب مثلاً من غير فرق أصلاً ومن فرق بينهما فهو بعد في مضيق النسبة[١] ولم يتنزّه عنده الحقّ عن الزمان كما لم يتنزّه عن المكان عند العوامّ الذين يزعمون أنّه جسم كسائر المحسوسات ومثل هذا الإيمان بالله بعيد عن الإيمان الحقيقيّ الحاصل للعارف في أوّل سلوكه ونظره.

١٠٦ والله عزّ وجلّ سابق على الزمان المستقبل حسب سبقه على الزمان الماضي من غير فرق وهذا يقينيّ عند العارف والعلماء عاجزون عن إدراكه بالضرورة ولو لم يعجزوا عن إدراكه لما قالوا إنّ العقل الأوّل مساوق الوجود لوجود الحقّ الأوّل كما لم يقولوا إنّ صورة هذه الحروف المنقوشة بهذا القرطاس مثلاً مساوقة في الوجود لله الحقّ المنزّه عن أمثال هذه الظنون وعن ظنون الأنبياء والمقرّبين وانظر في ذلك نظراً شافياً فلا بدّ أن يحظى عقلك القاصر من معناه بنصيب ما وإن كان فهم المراد الحقيقيّ منه موقوفاً على انفتاح عين المعرفة التي منزلتها من بصيرة العقل منزلة الجنين من الرحم لا بل منزلة العقل من العين التي تراها موجودة لابن المهد وسأزيد لذلك شرحاً في موضوع آخر أليق به لعلّ القاصرين[٢] يشمّون من روائحه شيئاً.

فصل ٥٣

١٠٧ الحقّ أنّ الله تعالى كان موجوداً ولم يكن معه شيء وهو الآن موجود وليس معه شيء ويكون موجوداً ولا يكون معه شيء فأزليّته حاضرة مع أبديّته من غير فرق[٣] وحيث سلطنة كمال إشراق الشمس فلا يُتصوّر للخفافيش وجودها أصلاً فخذ إليك

١ ج،ع، م: التشبيه. ٢ زائدة في أ: الإقبال. ٢ ج،ع، م: فرق وحيث سلطانه فلا موجود غيره ولا أيضًا يُتصوّر وجود ذلك.

هذا المثال العاميّ على قدر ضعف عقلك القاصر وعلمك المزخرف واجتهد لعلّ فهمك الضعيف ينتفع بشيء من هذا المثال واحذر من التشبيه.

١٠٨ وليس وجود الواحد الحقّ زمانيًا حتّى يحسن مثلاً أن يقال كان الله ولم يكن معه شيء ولا يحسن أن يقال يكون ولا يكون معه شيء وإيّاك ثمّ إيّاك ألف مرّة أن تطمع في الإحاطة بهذا الذي تسمعه بعقلك الذي نسبته من إدراكه نسبة الخفافيش من إدراك نور الشمس فإمّا أن لا تلتفت إلى ما في هذا الفصل وأمثاله أصلاً ولا تتلقّاها بردّ ولا قبول وإمّا أن تحفظ هذه الكلمات وسل الله عزّ وجلّ أن يخصّك بعين عند تدرّك أمثال ذلك لا من اللفظ فإنّ ذلك محال بل من وجه آخر[١] فإن أدركته[٢] من هذا الوجه فحينئذ تعلم قطعاً أن لا عبارة في الوجود تؤدّي حقّ ما أدركته أحسن من هذا الذي ذكرته وتعلم قطعاً أنّ من أودع أمثال تلك المعاني في الألفاظ المذكورة فهو ظالم غاية الظلم.

١٠٩ واعلم أنّا إذا قلنا لها كان الله ولم يكن معه شيء موجود فهو متشابه فإنّ لفظ كان يدلّ على وجود موجود في زمان ماض فإذا قلنا ولم يكن معه موجود فكيف يكون الزمان معه موجودًا ومهما كان كذلك فلا فرق بين قولنا كان ولم يكن معه موجود وبين قولنا يكون وليس معه موجود فهذا غاية ما يمكن ذكره في مضيق الألفاظ والعبارات.

فصل ٥٤

١١٠ إذا انفتحت من باطنك روزنة إلى عالم الملكوت فكلّ ما اتّفق طيرانك إليه شاهدت جليّة الحال في ذلك كلّه فاستغنيت عن سماع حكاياته ولعلّك الآن تشتهي أن تعرف معنى الأزليّة وكيفيّة الطيران إلى الملكوت فإنّ ظاهر ذلك كالمحال فاعلم أنّ من ظنّ أنّ الأزليّة شيء ماض فقد أخطأ خطأً فاحشاً وهذا وهم غالب على الغالبة فحيث الأزليّة

١ زائدة في أ: فإنّ إدراكه من وجه آخر. ٢ (فإن أدركته من هذا الوجه) في ج، ع، م؛ أ: فإنّ إدراكه.

فلا ماض ولا مستقبل وهي محيطة بالزمان المستقبل كإحاطتها بالزمان الماضي من غير فرق ومن اختلج في ضميره فرق بينهما فعقله بعد أسير في يد وهمه فليس زمن آدم أقرب إلى الأزليّة من زماننا هذا بل نسبة الأزمنة كلّها إلى الأزليّة واحدة ولعلّ نسبة الأزليّة إلى الأزمنة كنسبة العلوم مثلاً إلى الأمكنة إذ لا تُوصف العلوم بكونها قريبة من مكان أو بعيدة من مكان بل نسبتها واحدة إلى كلّ مكان فهي مع كلّ مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كلّ مكان وهذا يسهل إدراكه على ما نظر في العلوم العقليّة قليلاً وإنّما يعسر على من بعد[1] به القصور في عالم الملك ولم يفتح بعد عينه الجوّالة في الملكوت.

١١١ وكذلك ينبغي أن تُعتقد نسبته إلى كلّ زمان فإنّها مع كلّ زمان وفي كلّ زمن ومع ذلك فإنّها محيطة بكلّ زمن وسابقة الوجود على كلّ زمان ولا يسعها زمن كما لا يسع العلم مكان فإذا فهمت هذه المعاني فاعلم أنّه لا مغايرة بين الأزليّة والأبديّة في المعنى أصلاً بل إذا اعتبروا وجود ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استُعير له لفظة الأزليّة وإن اعتُبر وجوده مع نسبته إلى المستقبل من الأزمنة استعير له لفظة الأبديّة ولا بدّ من لفظتين مختلفتين لاختلاف النسبتين وإلّا ضلّ الخلق في إدراكه عن سواء السبيل. واعلم الآن أنّا إذا قلنا أراد الحقّ تعالى ويريد وعلم ويعلم وقدر ويقدر فهو لمثل هذه الضرورة وإلّا فإذا لم يكن له ماض ومستقبل فلا معنى للاختلاف في فعله أن يتعلّق في الماضي أو المستقبل نعم إذا نُسبت الإرادة إلى زمن ماض قيل أراد وإذا نُسبت إلى مستقبل قيل يريد وهذا مفتاح أسرار كثيرة ومشكلات عظيمة وإذا كان كذلك فمن المحال الظاهر أن يصل السالك إلى الأزليّة من طريق العلم. نعم، يجوز أن يدرك معناها بالعلم ولكنّ إدراك معنى الشيء غير والوصول إليه غير وإنّما قلنا يستحيل الوصول إليها من طريق العلم لأنّ المتفرّغ للطلب العلميّ في أسر الزمان بعد ولا وصول إلى الأزليّة إلّا بعد حلّ ذلك الأسر.

---

١ ج،ع،م: قعد.

فصل ٥٥

١١٢ واعلم أنّ إشراق الأرض بنور الشمس يستدعي نسبة مخصوصة بين الأرض والشمس لو بطلت تلك النسبة بطل استعدادها لقبول نور الشمس ولو دامت هذه النسبة بينهما دام القبول وبقدر دوامها يدوم القبول فأيّ نَفَس وجدت هذه النسبة وجد القبول وأيّ نفس بطلت هذه النسبة بطل القبول ثمّ إن دامت هذه النسبة في أنفاس متعدّدة دام القبول في تلك الأنفاس على منهاج واحد فيظنّ القاصرون أنّ الشعاع الموجود في كلّ نفس مثلاً عين الشعاع الموجود في النفس الذي قبله أو بعده وهو خطأ عند أهل المعرفة الناظرين بنور الله عزّ وجلّ بل الشعاع الموجود في كلّ نَفَس مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس والنسبة الموجودة في تلك الأنفاس متغايرة بالضرورة ولذلك يجوز أن يحكم على نسبة واحدة من جملتها بأحكام لا يجوز الحكم في تلك الأحكام على نسبة أخرى كما يقال مثلاً إنّ النسبة الفلانيّة كانت مساوقة الوجود للحركة الفلانيّة وإنّ النسبة التي بعدها لم تكن مساوقة الوجود لتلك الحركة وبهذا تتحقّق المغايرة بين النسبتين قطعاً.

١١٣ فإذا كانت تلك النسب متغايرة كان القبول في كلّ نَفَس مقتضى نسبة أخرى على حدتها واستقلالها فاعلم أنّ الشعاع الذي يكون موجوداً في نفس مخصوص غير الشعاع الذي يكون موجوداً قبله أو بعده ولو بنفس واحد نعم لمّا كانت هذه النسب المتغايرة واحدة في كونها مقتضية للقبول على وتيرة واحدة ظنّ بعض الضعفاء أنّ هذا الشعاع الموجود في هذا النفس عين الشعاع الموجود في النفس الذي يُرى قبله وبعده كمن يرى زيداً وعَمْرًا أو خالداً وبكرًا واحداً في معنى الإنسانيّة فيظنّ أنّ كلّ واحد منهم عين صاحبه وليتحقّق هذا فإنّه محتاج إليه من طريق ضرب المثال العامّيّ في الفصل الذي يلي هذا الفصل وهو يُبنى عليه أصل عظيم.

فصل ٥٦

١١٤ لا شكّ أنّ إشراق المعدوم بنور الوجود يستدعي نسبة مخصوصة بينه وبين القدرة الأزليّة ولو دامت هذه النسبة دام قبول المعدوم لإشراق نور القدرة ولو بطلت النسبة بطل القبول وبقدر دوام النسبة يدوم القبول والقبول في كلّ نَفَس مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس والنسب تتغاير فإذا القبول الذي في هذا النفس مثلاً غير القبول الذي في ذلك النفس وإن تشابهت أنفاس متعدّدة في القبول فذلك لتشابه النسب المتغايرة فاتّحادها في معنى الاقتضاء للقبول فإذا رأيت الشيء مثلاً موجوداً سنين كثيرة على منهاج واحد فذلك لدوام النسب المقتضية للوجود في تلك السنين نفساً بعد نفس فاعلم يقيناً أنّ الوجود في كلّ نفس مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس فالوجود الذي تراه في هذا النفس للسماء والأرض وسائر الموجودات غير الوجود الذي تراه فيما بعد ورأيته فيما قبل. نعم لمّا كانت النسب المتغايرة المقتضية لوجود تلك الموجودات واحدة في كون كلّ نسبة منها مقتضية للوجود وقع الوهم للأوّلين من عند آخرهم في هذا الغلط ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

١١٥ وهذا الفصل غامض شديد الغموض صعب المتناول عسير المدرك ممتنع على الأفهام وزلل الأقدام في أمثاله تكثّر والعقل لا يُتصوّر له إدراك ذلك إلّا بتأمّل عظيم ونظر شاف وبحث واف وذكاء عظيم وجدّ بليغ نعم يدركه العارفون بعين المعرفة في أوّل نظرة من غير احتياج إلى تكلّف ومن استعان من العقلاء في فهم هذا الفصل بنور السراج الذي تجدّد له في كلّ نفَس وجود آخر سهل عليه إدراكه فإنّ الصبيان يظنّون أنّ نور السراج الذي يرونه مشتعلاً على منهاج واحد وهو شيء واحد والعلماء يعلمون قطعاً أنّه في كلّ نفَس تجدّد له صورة أخرى وهذا مقتضى نظر العارف في كلّ موجود سوى الله عزّ وجلّ فلعلّ عقلك يحيط بشيء من ذلك إن أدمت النظر إليه ووقفت فهمك عليه والغالب أنّ هذا الباب لا ينفتح للعقل.

فصل ٥٧

١١٦ اعلم أنّ الله عزّ وجلّ كان موجوداً ولم يكن معه شيء ولا أيضاً يُتصوّر أبداً أن يكون معه شيء إذ ليس لشيء مع وجوده رتبة المعيّة فالله عزّ وجلّ ليس معه شيء ولكنه مع كلّ شيء ولولا معيّته مع كلّ شيء لما بقي في الوجود موجود والموجودات في حصولها منه لها ترتيب فبعضها متقدّم كالمفرد وبعضها متأخّر كالمركّب هذا إذا نظرنا بنظر العقل الصحيح فإن نظرنا بنظر المعرفة فهو خطأ والعقل لا يدرك حقيقة ذلك أصلاً فيراه إذا سمع ذلك يفور فائرة ويثور ثائرة ويقول الشيء الواحد كيف يكون صحيحاً وخطأ وعليك أن تُسكن فورته بهذا المثال العاميّ إن سكنت به وإلّا فدونك والتكذيب به والإنكار عليه ما دمت أسيراً في عالم العقل محبوساً في مضيقه.[١]

١١٧ وهذا المثال العاميّ هو أنّ الصبيّ إذا حكم على شخصين مثلاً بأنّ أحدهما أقرب إليه من الآخر فقال له بعض البالغين من أهل التحقيق حكمك هذا صادق إذ نظرت بنظر الحسّ وأمّا إذا نظرت بنظر العقل علمت أنّ حكمك خطأ فإنّ الأقرب بنظر الحسّ هو الأبعد في نظر العقل فإنّ قول العاقل[٢] صحيح ونظر الصبيّ صحيح عند العاقل وتكذيبه للعاقل في دعواه خطأ وهذا التكذيب له ضروريّ لا يتمكّن من اعتقاد غيره وطريق تفهيمه مسدود على العاقل.

١١٨ فإذاً لا بدّ من بيان صدور الموجودات من القدرة الأزليّة بطريق يمكن للعقل إدراكه وإن كان ذلك خطأ في نظر العارف وقد أكثر في بيانه النظّار وحاصلهم فيه يرجع إلى ظنون يرجمونها والحقّ في ذلك على ما يلوح لعقولنا أن يقال إنّ الله تعالى فاض منه الوجود أوّلاً على الموجود الأوّل وهو أقرب الملائكة إليه وأقرب الموجودات كلّها في نظر العقل وشبيه أن يكون الروح المذكور في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾، عبارة عنه.

---

١ (مضيقه) في ج،ع،م؛ أ: لا يقرأ. ٢ ج،ع: قائل.

١١٩ وكان وجود هذه الروح شرطاً تمّ به استعداد شيء آخر لقبول نور القدرة الأزليّة فكان استعداد هذا الشيء الثاني بشرط وجود الروح كاستعداد الروح من غير شرط ثمّ كان وجود هذا الثاني شرطاً في وجود شيء ثالث ويجوز أن يكون شرطاً في وجود شيئين ثالث ورابع وليس للعقول الضعيفة أن تدرك حقيقة هذا الأمر على ما يجب إلّا أنّ لها أن تدرك جواز الوجهين المشار إليهما وهو أنّ وجود الثاني يجوز أن يكون شرطاً في وجود شيئين ويجوز أن يكون شرطاً في وجود شيء واحد وهو أن يكون باعتبار ذاته على حدتها شرطاً لشيء ويكون باعتبار ذاته مع اعتبار الروح شرطاً لشيء آخر. وكلا الوجهين معقول وهذا القدر يكفيك في كيفيّة صدور الموجودات الكثيرة من الواحد الحقّ فإنّه إذا جاز أن يكون الثاني شرطاً لشيئين جاز أن يكون كلّ واحد من الشيئين[١] شرطاً لوجود ثالث ورابع من الموجودات.

فصل ٥٨

١٢٠ الحكم بأنّه لم يتوسّط بين الواجب الحقّ وبين السماء الأولى وهو الفلك الأطلس إلّا ثلاثة من الملائكة واحد منهم روحانيّ واثنان كروبيّان حكم مظنون غير مستقيم فربّما كان من الوسائط بينهما ألف أو أكثر لا بل هو الحقّ عند أرباب المعرفة. نعم لمّا لم يتمكّن العلماء في العروج إلى الأوّل من الاستدلال بحركة السماء الأولى على غير هذه الثلاثة لا جرم لم يطلبوا في نزولهم سبباً[٢] لغير تلك الثلاثة وهذا مظنون قطعاً لا يجوز أن يقنع بأمثاله في العلوم النظريّة وحكمنا بأنّ الوسائط بين الواجب وبين السماء الأولى كثيرة فهو حقّ وصدق ويشاهده أهل المعرفة لا من طريق الاستدلال بل من طريق آخر. ولو كان من طريق الاستدلال أمكن ذكره فلمّا كان موقوفاً على انفتاح عين المعرفة في الباطن لم يمكن ذكره بل لمّا كان إمكانه معقولاً نُبّه عليه بقدر الوسع

١ (الشيئين) في ج، ع، م؛ أ: الشرطين. ٢ ع: شيئًا.

ومما يعين العقل على التصديق بذلك أن يكرّر نظره في الكواكب الموجودة على السماء الثانية المعبّر عنها في لسان أهل الشرع بالكرسيّ.

فصل ٥٩

١٢١ كلّ موجود دائم الموجود فإنّه يتكرّر بالحيّ القيّوم دائماً ويتجدّد له في كلّ نفس وجود آخر شبيه بما قبله وأهل المعرفة يشاهدون ذلك صريحاً والعالم يتعذّر عليه إدراكه فكرّر نظرك فيما ذكرته من قبل فربّما تجلّى لك حقيقة هذه الأمور والله تعالى لا يجعل ذكر ذلك وبالاً عليّ وعلى من يطالعه ويجعل نفع الخلق به أكثر من الضرر. ورحم الله عبداً طالعه بعين المعرفة وشمّر لفهمه ذيله وترك التعصّب ومراقبة الجوانب والمداهنة في المذاهب بل ينبغي أن لا يحمله على مطالعته والنظر فيه إلّا طلب الحقّ بطريق اليقين لكون سعادة النفس متعلّقة به.

١٢٢ فإنّ هذه المعاني التي ذكرتها في هذه الفصول مشاهدة بالذوق مشاهدةً لا تقصر عن مشاهدة العقل للأوّليّات إلّا أنّه لم يكن التعبير عن تلك المعاني إلّا بهذه الألفاظ والحقّ الذي لا ريب فيه أنّ من عرف الله تعالى كلّ لسانه أي لم يجد عبارة تؤدّي حقّ المعنى الذي فهمه ذوقاً إلى الأفهام.

فصل ٦٠

١٢٣ الناظرون بعين العقل يرون للموجودات في ذواتها ترتيباً ويرون بعضها أقرب من البعض إلى الأوّل الحقّ بالضرورة ولا يُتصوّر أن يكون إلّا كذلك ويرون مصدر الوجود واحداً ويرون الموجودات الصادرة عنه كثيرة فلا جرم يحتاجون إلى تكلّفات باردة في بيان كيفيّة صدور الكثرة من الوحدة فأمّا الناظرون بعين المعرفة فإنّهم لا يرون للموجودات ترتيباً أصلاً ولا يرون بعضها أقرب إلى الحقّ من البعض بل يرون

هويّته مساوقة لكلّ موجود حيث مساوقتها للموجود الأوّل في نظر العلماء من غير فرق وما لم يصل الرجل إلى هذا المقام فلا يتجلّى له معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّن بَعۡدِهِۦ﴾ ولا قوله ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾. وإنّما يحظى من سماع أمثال هذه الآيات سماع حروف وكلمات.

١٢٤ ثمّ أهل المعرفة لا يرون مساوقته للموجودات كما يراها العلماء للعقل الأوّل ويرون أعني العارفين مصدر الموجودات كثيراً ويرون الموجودات كلّها كالذرّة بالنسبة إلى عظمته ومن كان ينظر إلى الله عزّ وجلّ وأفعاله بهذه العين فلا يحتاج إلى العلم بكيفيّة صدور الكثرة عن الوحدة فيكون كلّ ما ذُكر في هذا المعنى عنده فضولاً مستغنى عنه فاجتهد أن تصدّق بوجود[1] عين في باطن الآدميّ إذا انفتحت كانت مدركاتها من جنس ما أُشير إليه في قولنا إنّ الهويّة الأزليّة مساوقة الوجود لوجود كلّ موجود فإنّ العقل قاصر عن إدراك ذلك فلا محالة يرى بعض الأشياء أقرب إلى الحيّ القيّوم من البعض ومهما أدركت شيئاً واستحال عندك أن تعبّر عنه إلّا بالعبارات التي يشتمل عليها هذا الفصل من مدركات العارف فاعلم يقيناً أنّ عين المعرفة قد انفتحت في باطنك وحينئذ تصير علومك المحصّلة كلّها بذوراً لثمرات المعارف.

فصل ٦١

١٢٥ لعلّ نفسك تتشوّق إلى إدراك الفرق بين العلم والمعرفة فاعلم أنّ كلّ معنى يُتصوّر أن يُعبّر عنه بعبارة تطابق ذلك المعنى حتّى إذا شرحه المعلّم للمتعلّم بتلك العبارة مرّة أو أكثر ساواه في العلم به فهو من العلوم وكلّ معنى لا يُتصوّر عنه التعبير أصلاً اللّهمّ إلّا إذا كانت الألفاظ متشابهة فهو من المعارف هذا هو اصطلاحي في هذا الكتاب وهو الغالب على أرباب القلوب وقد يُطلق لفظ العلم ويرادف به معنى المعرفة وهو كثير في

١ (أن تصدّق بوجود) في ج، ع، م؛ أ: أنّ في وجود.

القرآن قال الله عزّ وجلّ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾. وقال أيضاً ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾. وقال أيضاً ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. والعلوم اللدنيّة لا يُتصوّرعنها التعبير بعبارات مطابقة لها أصلاً ولذلك لمّا أراد موسى أن يحصّلها من الخضر بطريق التعليم أبى إلى أن قال ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، أي حتّى تنفتح عين المعرفة في باطنك فحينئذ تستيقن حقيقة ما رأيته من قبل وأمّا قبل انفتاح تلك العين فلا سبيل لك إلى إدراك تلك الحقائق إلّا بطريق التأويل كما قال الله حيث صمّم العزم على فراقه ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. ولوصبر إلى وقت انفتاح عين المعرفة لكان يحدث له ذكرًا وهوكناية عن مشاهدة حقيقة اليقين[1] بحيث لا يبقى إلى التأويل حاجة ولهذا المعنى قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رحم الله أخي موسى فلوصبر مع الخضر لرأى كثيرًا من العجائب. ولعلّ الحديث من حيث اللفظ يخالفه.

فصل ٦٢

١٢٦ علوم الأنبياء لدنيّة فمن كان علمه مستفاداً من الكتب والمعلّمين فليس هومن ورثة الأنبياء في علمه ذلك إلّا من طريق التوسّع في العبارة عن لفظ علوم الميراث وعلوم الأنبياء لا تستفاد إلّا من الله عزّ وجلّ كما قال ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. لا تظنّنّ أنّ تعليم الحقّ يختصّ به النبيّ فقط. قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾. فكلّ من وصل في سلوكه إلى حقيقة التقوى فلا بدّ أن يعلّمه الله ما لم يعلم ويكون معه كما قال الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾. وأمثال هذه العلوم إذا عُبّرعنها بعبارات متشابهة لم تكن فهم حقائقها من تلك العبارات إلّا لمن حصل له ذلك بطريق الذوق عن تعليم الحقّ ولذلك قال الله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

---

١ ج،ع،م: التفسير.

١٢٧ وكلّ من لم يتعلّم القرآن من الله تعالى بغير واسطة فليس هو من العالِمين المشار إليهم في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾. وهذا في أمثال العامّيّ يشبه كلام العشّاق في الوصال والفراق وغيرهما من عوارض العشق وأحوال ما يتعلّق به فإنّ الأسماع إذا قُرعت بكلام العشّاق لم تفهم معناه حقّ الفهم اللّهمّ إلّا من لابس حالة العشق ذوقًا. هذا معنى قول الجنيد رضي الله عنه كلامنا إشارة ولا يُتصوّر أن يكون للعارف كلام إلّا كذلك ومن تصرّف في معانيه ببراعة عقله وعلمه زلّت قدمه. ورحم الله أبا العبّاس بن سريج حيث سأله بعض تلامذته عمّا يقول الجنيد فقال له رموز القوم لا نعرف نحن إلّا أنّ لكلام الجنيد نوراً. والغالب أنّ ابن سريج كان من أهل الذوق فإنّ كلامه هذا يعرب عن ذلك إلّا أنّه غلب عليه علم الظاهر وأمثاله كثيرة فيما بين العلماء.

فصل ٦٣

١٢٨ المسائل العقليّة تنقسم بوجه من الوجوه إلى ما لها وجهان وإلى ما لها ثلاثة أوجه وقد يُظنّ بالمسائل التي لها ثلاثة أوجه أنّها من المعارف وليست من العلوم وهو ظنّ فاسد وإنّما ذكرت هذا الفصل لتدفع أمثال هذه الظنون عن نفسك أمّا القسم الأوّل وهو الذي له وجهان أحدهما إلى نطق المعلّم المرشد والثاني إلى فهم المتعلّم المسترشد كعلم النحو والطبّ والحساب وغير ذلك أمّا القسم الثاني فهو الذي له ثلاثة أوجه أحدهما إلى نطق المفيد والثاني إلى فهم المستفيد[١] والثالث إلى ذوقه وأكثر ما يتعلّق من المسائل بالصفات هذا حكمها وكذلك ما يتعلّق بأحكام النفس كالحكم بكونها[٢] موجودة قبل البدن وأحوالها بعد الموت فهي كذلك.

---

١ (إلى فهم المتعلّم . . . إلى فهم المستفيد) في ج،ع،م؛أ: إلى فهم المستفيد. ٢ (كالحكم بكونها) في ج،ع،م؛أ: كالحكم الروح بكونها. ٣ (الأليق) في ج،ع،م؛أ: الأليق. ٤ (الألفاظ) في ج،ع،م؛أ: الأمثال.

١٢٩ وأمثال هذه المسائل يصعب إدراكها على العقل لاسيمّا حقيقة صفة العلم الأزليّ وكيفيّة إحاطته بالجزئيّات وصفة القدرة الأزليّة وحقيقة معنى الإيجاد والاختراع في حقّ الله تعالى وكيفيّة معنى المشيئة الأزليّة والفرق بينهما وبين الإرادة وأكثر العلماء المتبحّرين يظنّون أنّهم أحاطوا علماً بمعاني هذه الصفات وإنّما حظّهم منها على الحقيقة تشبيه فقط.

فصل ٦٤

١٣٠ لعلّ الأليق[٣] بحال المستفيد في أمثال المسائل التي سبقت الإشارة أليها أن لا يستكثر فيها من حفظ الألفاظ[٤] المذكورة في الكتب إذ الغالب أنّ الاستكثار منها لا يزيده إلّا تحيّرًا وطلب الحقائق من الألفاظ المنقولة المستعارة والمتشابهة المشككة في غاية العسر بل ينبغي أن يقتصر على قدر من الألفاظ يلتقطها من أفواه العلماء ومن كتب المتأخّرين دون المتقدّمين فإذا حفظ ذلك فليصرف العناية بكليّتها إلى ترديد النظر فيه ولترك النظر في الكتب القديمة رأساً إلى وقت يشير عليه المعلّم بذلك.

فصل ٦٥

١٣١ ينبغي لطالب الحقّ إذا حفظ القدر الذي يتيسّر له من تلك المسائل أن يعاود النظر إليه مرّة بعد أخرى ويجالس أهل الكمال العلميّ إن وجدهم وظفر بخدمتهم ما أمكنه ويعرض عليهم كلّ ما يسنح له من خواطر في تلك المسائل وينبغي أن يستعين على إدراك تلك الحقائق بتصفية الباطن فعساه يدركها بنفسه فليس في قوّة الواصل الكامل أن يرد به مشربه العذب ما لم يقو بنفسه على الورود وإنّما الذي إليه من أمره هو إرشاده إلى كيفيّة السلوك فقط ومهما امتثل أمره في الإرشاد لم يحرم الوصول غالباً إن كان من أهله.

فصل ٦٦

١٣٢ المعين[١] للطالب على تصفية الباطن مصاحبة أهل الذوق ومجالستهم وخدمتهم من صميم القلب وأعني بأهل الذوق أقواماً طهّروا بواطنهم من رذائل الأخلاق حتّى فاضت عليها من ألطاف الحقّ ما تستحيل عنه العبارة وهذا القوم لا يشقى بهم جليسهم وقلّما تخلو بقعة من البقاع عنهم.

فصل ٦٧

١٣٣ السعادة كلّ السعادة للطالب أن يتفرّغ بكلّيّة روحه وقلبه لخدمة واصل منهم فني في الله عزّ وجلّ ومشهادته حتّى إذا أفنى عمره في خدمته أحياه الله حياةً طيّبةً ليس منها مع العلماء سوى رسم واسم فأمّا حقيقة معناها ومسماها فلا يوجد إلّا عند قوم أُرضعوا بلبان الكرم في حجر العناية.[٢]

فصل ٦٨

١٣٤ لولا أنّ الجود الأزليّ أخذ بضبعي ووفّقني لخدمة شيخ كبير منهم وإلّا لما يُصوّر لي خلاص عن تلك الضلالات التي ترسّخت في الباطن من ممارسة العلم ولا انتفعت أيضاً بخدمة الشيخ الإمام أحمد الغزاليّ رضي الله عنه إذ لولا ملازمتي لعتبة باب ذلك الشيخ لكان يتراكم في القلب على تعاقب الأيّام والليالي صفات مذمومة يبعد[٣] الخلاص عنها ويستحيل كما أراه في حقّ الأكثرين ممّن حبسه التقدير في ضيق العلم والعقل ولا تتّسع حوصلته للتصديق بما وراء ذلك من الجليّات بل[٤] الغوامض من الخفيّات والله

١ ج،ع،م: نعم المعين. ٢ زائدة في ج،ع،م: يومًا بعد يوم. ٣ ع: يتعذّر. ٤ ع: فضلاً عن؛ ج،م: بَلَه.

تعالى هو المشكور على إفاضته عليّ نعماً لا أحصيها ولا أستحقّها وبه اعتمادي وعليه توكّلي في إتمام تلك النعم.

فصل ٦٩

١٣٥ لعلّك تقول كيف يظفر الطالب بمثل هذا الشيخ وكيف يتيسّر للمبتدئ متابعة المنتهي ومعرفته وليس يجوز للسالك أن يزن الواصلين بميزان نظره ولا أيضاً يجوز له أن يقلّد واحداً بمجرّد دعواه فبماذا يعلم أنّ الشخص الفلانيّ مثلاً مدّع وليس وراء دعواه طائل أو هو كامل منته بلغ مبلغاً يجوز أن يُقتدى به فاعلم أنّ هذا سؤال عن أمر لا يكون للخوض في جوابه عظيم فائدة فإنّ كلّ واحد من الطالبين تتسلّط عليه أسباب ما قُدر له تسليطاً لا يجد عنه محيصاً وبقدر ما قُسم لكلّ واحد من الرزق يُسلّط عليه الطالب وتيسّر له الظفر بمن يهديه الطريق وكما أنّ المتعلّم يكون طلبه ومرشده على قدر ما رزق في الأزل من العلم فكذلك ها هنا من غير فرق.

فصل ٧٠

١٣٦ فإن قلت فهل من علامة يتميّز بها المدّعي عن الواصل فأقول العلامات كثيرة والتعبير عنها عسير والإحاطة بجميعها متعذّرة غاية التعذّر فأمّا علامة تطرد وتنعكس فيكاد يستحيل وجودها وليس عندي من أماكنها خبر فعليك بالجدّ في الطلب فإنّه يحلّ لك كلّ مشكل ويجذب بضبعك في كلّ مسألة[1] مدلهمة وينقذك من كلّ خطب هائل ويخلّصك من كلّ داهية معضلة ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يجرّب لم تنفعه تجربة غيره ومن لم يأكل لم يشبع بمحادثة من أكل ومن لم يشرب لم يرو عطشه كلام من شرب.

---

١ ج،ع،م: ملمّة.

فصل ٧١

١٣٧ إيّاك وأن تغترّ بعلمك فتشتغل بالسلوك من غير قائد يقودك في الطريق فتضلّ من حيث لا تدري ويكون مثالك مثال صانع تبحّر في صنعه فاشتغل بالعلوم النظريّة وتحصيلها من نفسه واستنكف من متابعة غيره من النظّار ولم يكن لذلك مستنداً إلّا عجب أثمره تبحّره في صنعته فمن الضلالات الغالبة على أهل العلم أنّهم إذا أضمروا على السلوك ظنّوا أنّهم يستغنون عن عارف بمهالك الطريق يهديهم في كلّ خطوة وقلّما ينجو أحد من النظّار والعلماء من هذا العجب الذي ثمرته الاستكبار[١] من المتابعة لأهل المعرفة إذ يبعد من العالم الذي يرى الكمال فيما حصّله من العلم أن يرى الجاهل بذلك فوق نفسه وذلك لظنّه الفاسد. الغلط بأنّ كلّ كمال فهو من المسائل التي تلقّنها وتلقّفها فلا يعلم وراء ذلك شيئاً والله الذي لا إله إلّا هو حلفة صادقة ويميناً برّة أنّ العالم وإن انتدب لخدمة بعض المشايخ فما دام يفرّق بين نفسه في الحاجة إليه وبين غيره من جهّال أقرانه فهو بعد في تضييع زمانه غير مقبل على شأنه ولا تُفهم هذه المعاني أصلاً إلّا إذا صرت لها بعد التجربة أهلا وإن ظننت أنّك تصل إليها قبل التجربة فأنت بعد ضحكة للشيطان وفي مثلك قيل [كامل]

وَإِذَا رَأَى ٱلشَّيْطَانُ[٢] غُرَّةَ وَجْهِهِ حَيَّ[٣] وَقَالَ فَدَيْتُ مَنْ لَا يَفْلَحُ

فصل ٧٢

١٣٨ اعلم أنّ هذه الفصول المعترضة في أثناء الكلام كثيرة النفع ولكن عند الأقلّين والمعجب بعقله وعلمه لا يتأثّر بها غالباً فلا ينتفع بها فإذا كان ذكرها عرضاً فأولى بي أن أقتصر على القدر المذكور.

١ ج،ع،م: الاستنكاف. ٢ (الشيطان) في ع؛أ، ج، م: ابليس. ٣ (حيّ) في ج،ع،م؛أ: لبى.

١٣٩ وأقول قد ظهر أنّ قول القائل إنّ العالم قديم بالزمان هوس محض فنظمه في غاية الفساد وبعد ذلك فربّما يقول هبني سلّمت ذلك في السموات والأرض فما تقول في الموجود الأوّل هل كان مساوق الوجود لوجود الباري تعالى فإن قلت نعم فقد أثبتّ معه قديماً وإن قلت لا ففرض الكلام فيه ونقول إن لم يكن موجوداً ثمّ وُجد فلما ذا لم يكن موجوداً قبله والسبب كماله موجود. وحين وُجد فهل ظهر سبب أم لا فإن قلت لا فهو محال إذ يلزم منه حدوث حادث بلا سبب وإن قلت نعم ظهر سبب فظهور سبب معدوم استمرّ في العدم على وتيرة واحدة ثمّ ظهر وجوده محال لأنّ ظهوره في ذات الواجب محال ولا موجود ثمّ غير الواجب حتّى يثبت وجوده شرطاً كما قلت ذلك في حقّ موجود يوجد بعد العدم.

١٤٠ فاعلم أنّ القبل والبعد وُجدا بعد وجود الزمن ولم يكن إذ ذاك إلّا قبليّة الشرف والذات وقولنا إذ ذاك متشابه فإنّه مشعر بوجود الزمن وقبليّة الشرف والذات بين الواجب الوجود بذاته وبين الموجودات الحادثة منه ليس لها حدّ ومنتهى فإذاً لا قول أصدق من قولنا إنّ الله كان موجوداً قبل الموجود الأوّل قبليّة لا تتناهى ولعلّ الآن يتجلّى لك حقيقة قوله عليه السلام خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام وأنّه لِمَ قدّر تلك القبليّة بمقدار متناه من الزمن وهذا سرّ عظيم فالطريق من كلّ ممكن إلى كلّ ممكن متناه والطريق من كلّ ممكن إلى الواجب غير متناه ولو لم يكن كذلك ألزم أن يكون ما يتناهى أكثر ممّا لا يتناهى وذلك محال وهذه القضايا من الأوّليّات التي تدركها عين المعرفة وطريق إدراكها منسدّ على عين العقل فلا تطمعنّ بعلمك وبضاعتك المزجاة منه في إدراكها.

فصل ٧٣

١٤١ فـإذا تحقّق من هذا أنّه ليس موجود يساوق وجوده وجود الواجب ولا يُتصوّر أن يوجد وجود ولا غيره[١] نعم الواجب مساوق الوجود لوجود كلّ شيء ومساوقته لما لم يوجد بعد عند وجوده كمساوقته للموجود الأوّل من غير فرق وهذا هو الواجب الحقّ واعلم أنّ العارف إذا نظر بعين المعرفة أدرك لقولنا كلّ موجود فهو مساوق الوجود لوجود الواجب معنى صحيحًا ولكن العلم والعقل يمسّهما الكلال دون إدراك ذلك. وعند ذلك يقول العارف إنّ الله مع كلّ شيء وهو مع ذلك قبل كلّ شيء قبليّة لا تتناهى ويقول ليس في الوجود شيء هو مع الله ولا بعده ولا يُتصوّر أيضًا أن يكون بهذه الصفة شيء في الوجود.

١٤٢ وإيّاك أن تنكر قولنا ليس مع الله عزّ وجلّ شيء ولا بعده فتكون أعمى لا تدرك الألوان ولا تؤمن أيضًا بوجودها فإنّ ذلك حقّ وصدق وهو أجلى وأظهر لعين المعرفة من الأوّليّات لعين العقل. فاعلم أنّ العقل قد يدرك لقولنا إنّ الله مع كلّ شيء وقبل كلّ شيء معنى صحيحًا ولكن ليس ذلك المعنى في شيء ممّا يدرك بعين المعرفة فأمّا قولنا ليس مع الله شيء ولا بعده شيء فذلك ممّا لا يُتصوّر للعقل أن يدرك شيئًا من معناه أصلًا والإطناب في شرح هذه القضايا لا يفيد لاستعصاء وإباء[٢] على الإدراك العقليّ فالاختصار والاقتصار على القدر اليسير الذي سبق أولى ولينظر الطالب في الفصل الذي بعد هذا الفصل فإنّه كالبذر لما قبله فربّما يجتني ثمرته يومًا.

---

١ ج،ع،م: أن يوجد أيضًا فلا الموجود الأوّل يساوق وجوده وجود الواجب ولا غيره. ٢ ج: هذه الألفاظ لا يزيدها إلّا إباء واستعصاء؛ ع: هذه القضايا لا يزيدها إلّا إباء واستعصاء؛ م: هذه لا يزيدها إلّا إباء واستعصاء.

فصل ٧٤

١٤٣ القرب والبعد ثلاثة أقسام.

١٤٤ القسم الأوّل: يوجد في الزمان والمكان كما يقال القمر أقرب إلينا من الشمس وعصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقرب إلى زماننا هذا من عصر آدم عليه الصلاة والسلام.

١٤٥ القسم الثاني: القرب العقليّ وعند وجود[١] هذا القرب تبطل فائدة القرب الزمانيّ والمكانيّ فيقال الشافعيّ مثلاً أقرب إلى الصدّيق الأكبر من أبي جهل وإن كان هو أقرب زماناً ومكاناً من الشافعيّ وكلّ شيئين وصف أحدهما بالقرب من الآخر والبعد عنه من حيث الزمان والمكان فلا يجوز أن يكون لهما وصف من القرب والبعد العقليّ[٢] أصلاً إلّا من حيث تشابه في اللفظ والتوسّع في العبارة إذ لا يجوز أن يقال إنّ المعنى الذي كان الشافعيّ به إلى أبي بكر أقرب من غيره هو قرب من السماء والأرض أو بعد عنهما إذ ليس ذلك المعنى ممّا تسعه السماء والأرض وعند ذلك ينبغي أن تفهم أن لا نسبة لشيء من الأشياء التي توصف بالقرب الزمانيّ والمكانيّ إلى الله عزّ وجلّ في القرب والبعد. لذلك قال صلّى الله عليه وسلّم حاكيًا عن ربّه لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللينّ الوادع.

١٤٦ والقسم الثالث: هو القرب الذي يدركه العارفون ولا يُتصوّر العلماء إدراكه أصلاً ومن الأحكام المستفادة من هذه المعرفة أن يقول العارف قرب الحقّ تعالى متساوٍ من كلّ شيء لا تفاوت فيه بوجه من الوجوه والأجسام والأرواح متساوية النسبة عليه وعند ذلك نقول كلّ موجود فهو مساوَق الوجود لوجود الحقّ لا فرق في مساوَقته[٣] أصلاً واعلم أنّ الذي وصفناه من القرب والبعد من القسم الأوّل صحيح بالإضافة إلى حاسّة البصر والذي وصفناه في القسم الثاني صحيح بالإضافة إلى بصيرة العقل والذي وصفناه في القسم الثالث صحيح بالإضافة إلى بصيرة العارف

١ (وجود) في ج،ع، م؛ أ: وجوب. ٢ (من القرب والبعد العقليّ) في ج،ع؛ أ: من القرب الأصليّ؛ م: من القرب العقليّ والبعد العقليّ. ٣ ع: مساوقة الموجودات؛ ج،م: مساوقتها قطعًا والبتّة.

والذي في القسم الثاني من علم اليقين والذي في قسم الثالث من عين اليقين[١]. وأمّا حقّ اليقين فلم أصل بعد إليه ولا تعثّرت في طريقي عليه وأنا مؤمن به إيمان الأكمه بوجود الألوان وكما يستحيل للجامد على المحسوسات أن يدرك معنى القرب والبعد المشار إليهما في القسم الثاني فكذلك يستحيل للجامد على العقليّات أن يدرك حقيقة القرب والبعد المشار إليهما في القسم الثالث فاجتهد أن تؤمن به إيمانك بالغيب ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

فصل ٧٥

١٤٧ لعلّك تقول أين أنت من قولك إنّ هذه الفصول تشتمل على العلم بالله وبرسوله وباليوم الآخر فقد أطنبت القول في العلم بالله وبصفاته وفي الطور الذي وراء العقل وهو الذي يتوقّف عليه الإيمان بالنبوّة وأمّا العلم باليوم الآخر فإنّك لم تتعرّض له أصلاً ولم تذكر في معناه فصلاً وما بالك لم تحم حول شيء من أحوال النفس وحقيقة أطوارها في عالمي الملك والملكوت.

١٤٨ فاعلم قبل كلّ شيء أنّ اليوم الآخر ليس من[٢] جنس أيّامنا هذه التي تعرف بطلوع الشمس لأنّ الشمس تكون مكوّرة يوم القيامة وإنّما عُبّر عنه باليوم الآخر لضيق العبارة كما عبّر عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث قال ألا إنّ الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله السموات والأرض. وكما عُبّر عنه في القرآن فقيل ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾. وما لم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات فيستحيل للسالك أن يصل إلى يوم الدين فإذا فهمت ذلك فاعلم أنّ النفس الإنسانيّة لها أطوار كثيرة وتكاد تخرج عن الحصر والتناهي فما دامت

١ (والذي وصفناه في القسم الثاني . . . من عين اليقين) في ع، م. في ج خطأ: والذي وصفناه في قسم الثاني صحيح بالإضافة إلى عين بصيرة العقل والذي وصفناه في قسم الثالث صحيح بالإضافة إلى عين اليقين. في أ يوجد الأغلاط الواضحة في هذه الجملة: والذي وصفناه في القسم الثاني بالإضافة إلى بصيرة العارف والذي وصفناه في القسم الثاني من علم اليقين والذي في قسم الثالث من عين اليقين. ٢ (قبل كلّ شيء أنّ اليوم الآخر ليس من) في ج، ع، م: أ: قبل شيء أنّ اليوم الآخر من.

النفس في أطوار مخصوصة قيل هي في الدنيا وما دامت النفس في أطوار أُخر مخصوصة قيل هي في عرصات القيامة وما دامت في أطوار أُخر مخصوصة قيل هي في الآخرة.

فصل ٧٦

١٤٩ اعلم أنّ العقل الإنسانيّ لم يدرك حقيقة النفس إلّا ما لزم وجوده من النظر في البدن وعوارضه وذلك مثل كونها مدركة ومحرّكة وهاتان صفتان يشترك فيهما جميع الحيوان وأمّا ما أدرك من بقائها بعد انقطاع تصرّفها عن البدن فإنّما عرف ذلك من طريق النظر في الإدراك العلميّ من حيث أنّ النفس محلّ العلوم وأنّ العلوم لا تنقسم ولا يُتصوّر انقسام محلّها وأنّ كلّ ما كان كذلك فلا سبيل إليه للفناء وأمّا حكمهم بوجودها قبل البدن فلم يُقم أحد عليه برهاناً واضحاً بحيث لا يتطرّق إليه شبهة وشكّ وكان تقصير العلماء في ذلك يرجع إلى ضيق اللفظ عن أداء حقّ ذلك المعنى وحكمهم بأنّها وجدت مع البدن وأنّ البدن كان شرطاً في وجودها من علّتها الموجبة للوجود فهو خطأ نعم تغيّر حالها عند حلول البدن معلوم.

١٥٠ والحقّ أنّ النفس كانت موجودة قبل البدن وهذا عندي واضح ولكنّي لا يمكنني التعبير عنه بحيث لا يبقى فيه إمكان شكّ ومجال اعتراض وغالب[١] أنّ كلّ من أدرك ذلك كان بهذه المنزلة في العجز عن التعبير عمّا أدركه واعتقادي هذا في النفس لم يحصل لي بكماله من النظر في البراهين العقليّة والمقدّمات العلميّة إلّا أنّ السلوك العقليّ أعانني فيه غاية الإعانة بالمقدّمات المذكورة في كتب النظّار والقدر الذي يمكن[٢] أن توشّح به هذه اللمعة أنّ سبب وجود النفس كان بكمال السببيّة موجوداً قبل وجود البدن وكان المسبَّب معه نعم تصرّفها في البدن كان موقوفاً على وجود شروط مخصوصة فلم يُوجد إلّا بعد وجود تلك الشروط.

---

١ ج،ع،م: غالب ظنّي. ٢ (يمكن) في ج،ع،م؛ ساقطة من أ.

فصل ٧٧

١٥١ معلوم أنّ النفس حادثة وباقية أبداً بعد الموت وليس ذلك إلّا أنّ سببها يبقى أبد الآباد فإذا حصل لك علم يقينيّ بوجود سببها قبل البدن حصل بالضرورة علمك بكونها موجودة قبل البدن ووجود سببها قبل البدن ظاهر في العلوم النظريّة إلّا أنّ كمال السببيّة موهوم غير مقطوع به وهذا هو القدر الذي حصل لي من طريق الذوق ولم يحصل من طريق العلم فاعلم أنّ النفس إن كان لا يُتصوّر وجودها من السبب الموجب لوجودها إلّا بشرط التصرّف في البدن لزم أن تنعدم بعد التصرّف في البدن.

فصل ٧٨

١٥٢ اعلم أنّ الله عزّ وجلّ يتعالى ويتقدّس أن يسع عظمته حضيض المكان والزمان وهذا بعينه حكم الأرواح فإنّها ليست أجساماً حتّى يتّسع الزمان والمكان للإحاطة بها ولمّا كان الأمر كذلك حكم سيّد الأوّلين والآخرين صلّى الله عليه وسلّم بأنّ الله عزّ وجلّ قبل العالم الزمانيّ والمكانيّ قبليّة إن قُدّرت بمقدار من الزمان لم يكن متناهياً وأمّا الأرواح فقدّر قبليّتها على الأجسام بمقدار ألفي ألف عام وقد أدركت هذه القبليّة بحمد الله تعالى إدراكاً أقوى وأوضح من إدراك العقل للأوّليّات وأمّا تقدير تلك القبليّة بهذا المقدار المذكور دون سائر المقادير فلم تُدرك بعد حقيقته والله عزّ وجلّ يرشّح الباطن لإدراكه بفضله وكرمه ويجعلنا ممّن يستحقّ ذلك من جوده الأزليّ.

فصل ٧٩

١٥٣ لعلّك الآن تشتهي أن تعرف السبب الموجب لوجود النفس فاعلم أنّ الحقّ الذي لا ريب فيه أصلاً عند أرباب القلوب المختصّين ببصائر تدرك المعارف التي يقصر

العقل عن إدراكها بالضرورة هو أنّ النفوس مختلفة اختلافًا لا يدخل تحت الحصر درجاته وإنّ ذلك الاختلاف ليس كاختلاف الأنواع ولا كاختلاف الأجناس بل اختلاف النفوس وراء ذلك كلّه.

١٥٤ فمن النفوس ما لم يكن بينها وبين الحقّ الأوّل واسطة وهذه قضيّة يقصر العلم والعقل عن إدراكها فترى المتحذلق عند سماعها يبادر ويقول كيف يُتصوّر ذلك والنفس تتغيّر بأنواع مشهورة من التغيّرات والله عزّ وجلّ يتنزّه عن طرآن التغيّر عليه فكيف يجوز أن يكون بذاته من غير واسطة شيء سبباً لبعض النفوس وعن هذا المعنى يكنّي القرآن حيث قال ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. وإليه يشير قوله صلّى الله عليه وسلّم أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن وقوله صلّى الله عليه وسلّم ما خلق الله شيئًا أشبه به من آدم. ولعلّك إذا أدركت وجود الحقّ حقّ الإدراك بحيث يحيط بالأزمنة كلّها ماضيها ومستقبلها على التساوي شممت شيئًا من ذلك.[١]

١٥٥ والكلام في أمثال هذه النفوس ليس بجائز ولا يتأتّى ذلك أيضاً لأحد وكيف لا وأقلّ أحكامها ما ذكرناه وأسماع العقول تمجّها وتنبو عن إدراكها فالإعراض عن ذلك إلى ذكر ما هو مقبول عند العقلاء قاطبة أولى. واعلم أنّ النفوس إلّا قليلاً منها توسّطت بين وجودها ووجود الأوّل وسائط كثيرة وعدد الوسائط في كلّ نفس لا يحيط به إلّا علم الله عزّ وجلّ أو علم من رشّحه لذلك وهذه النفوس كلّها تشترك في كونها مسبّبة لأسباب غيبيّة ملكوتيّة.

فصل ٨٠

١٥٦ إنّما اختصّ كلّ بدن بنفس مخصوصة لكون كلّ نفس مخصوصة بصفة اقتضت ذلك مع وجود شروط أُخر متعلّقة بالحركات السماويّة والعبارة ضيّقة عن حقيقة تلك الصفة التي اختصّت بها كلّ نفس وعن تلك الشروط جميعاً ولعلّه يقلّ في

١ ج،ع،م: روائح ذلك.

الخلق من يُتصوّر إحاطة علمه بذلك لست أعني العلم الذي يستفاد من طريق التعلّم[١] فإنّ حصول ذلك من تلك الطريق يكاد يكون كالمحال ولعلّ انجذاب كلّ نفس إلى بدنها المخوض بها يشبه انجذاب الحديد إلى المغناطيس وانجذاب الذهب إلى الزيبق وانجذاب كلّ جسم إلى حيّز مخصوص وليس في شيء من ذلك عند العارفين شبهة وإذا كانت العقول عاجزة عن إدراك حقيقة المعنى الذي به ينجذب الحديد إلى المغناطيس مع أنّه مشاهد محسوس للعقلاء قاطبة فأيّ عجب لو عجزت عن إدراك تلك المناسبات التي بين الأرواح والأجسام وهي خارجة عن الحصر والحدّ واعلم يقيناً أنّ العارف لا يستبعد أصلاً انجذاب كلّ نفس إلى بدنها[٢] كما أنّ العقلاء لا يستبعدون أصلاً انجذاب كلّ جسم إلى حيّز مخصوص.

فصل ٨١

١٥٧ كما أنّ لكلّ جسم مكاناً مخصوصاً وفيه معنى يحرّكه إلى حيّزه ولا يقف به دونه فكذلك كلّ نفس خرجت من معدن مخصوص واختلاف النفوس من اختلاف معادنها والناس معادن كمعادن الذهب والفضّة كما أخبر عنه سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم وقد خلق الله تعالى في كلّ نفس معنى مخصوصاً يحرّكها إلى معدنها الأصليّ ولا يقف بها دونه هذا هو الحقّ المشاهد الذي لا ريب فيه أصلاً للعارف.

١٥٨ وعن مثل هذا المعنى يترجم القرآن حيث يقول ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾. وحركات الجوارح آثار تلك المعاني التي عبّأتها القدرة الأزليّة في النفوس إتماماً للحكمة وإظهاراً لكمال اللطف والخبرة فالنفوس التي لا يكون بينها وبين الأوّل واسطة تنجذب إلى جنابه طبعاً كانجذاب الحديد إلى المغناطيس وهذه النفوس هي العارفة بالله عزّ وجلّ حقّاً وقوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، كناية عن أهل هذه المعرفة. وإنّما عرفه هؤلاء معرفة حقيقيّة لأنّه تعالى تعرّف لهم في تجلّيه من غير واسطة فاستغرقوا

١ ج،ع،م: تعليم. ٢ (كلّ نفس إلى بدنها) في ع؛ أ، ج،م: الحديد إلى المغناطيس.

بكليّتهم في معرفته فقوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ عبارة عن تعرّفه وتجلّيه لهم. وقولهم ﴿بَلَىٰ﴾ عبارة عن استغراقهم في مشاهدة ذلك الجمال.

١٥٩ ورحم الله شيخ الإسلام عبد الله الأنصاريّ لقد أفصح عن هذا المعنى غاية الإفصاح حيث قال في بعض كلامه الحقّ أراد في امتناع نعوته وعلوّ عزّته أن يُعرف فيعرّف فيُعرف لا بعلم فيُعبّر عنه ولا بسبب فيُشار إليه ولا بنعت فيثبت به بل معرفة وقعت قهرًا فأوجبت منعًا[١] فلم تدع رسمًا فصارت في الرسم جحدًا وقامت في الحقيقة حقًّا. إلٰهي تلطّفتَ لأوليائك فعرفوك ولو تلطّفت لأعدائك لما جحدوك. فهذا حكم النفوس التي لم يكن بينها وبين الأوّل واسطة فعرفته حقّ المعرفة لأنّه تعرّف لها بلا حجاب وأمّا النفوس التي كانت بينها وبين الأوّل الحقّ واسطة فإنّما تعرّف لها من وراء حجاب فكانت هذه المعرفة قاصرة عن معرفة المصطفّين في الصفة الأولى.

فصل ٨٢

١٦٠ لمّا بلغتُ هذا الفصل أشرقت سلطنة الجلالة الأزليّة فتلاشى العلم والعقل وبقي الكاتب بلا هو لا بل غشيته الهويّة الحقيقيّة فاستغرقت هويّته المجازيّة فلمّا ردّ جمال الأزل عقله وعلمه ونفسه عليه كان لسانه يتلجلج بقول الشاعر [بسيط]

وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ

فصل ٨٣

١٦١ كانت الدموع ملأت المحاجر والقلوب بلغت الحناجر وبرّحت بالعاشق صبوته وعظمت حسرته وقال إلى متى الهذيان الفارغ وأنّى ينفع ذكر المعشوق والعاشق في

---

١ ج،ع،م: جمعًا.

سجن الفراق. فلمّا اشتدّ بالمسكين حرصه[١] واتّقق إلى وطنه الأصليّ رجوعه بقي القلم[٢] وقد أعوزه الكاتب.

فصل ٨٤

١٦٢ وردّ عليه من حضرة السلطان أمر جازم بالدخول عليه فطار الطائر إلى عشّه الأصليّ ومعدنه الفطريّ وترك القفص وجرى بينه وبين السلطان وهو على يده ما لا يُتصوّر ذكره فلمّا أذن له في الانصراف استأذن في حكاية حاله للمساكين[٣] في حضيض الزمان والمكان فأذن له في ذلك. فلمّا عاود مستقرّه من السجن راجع ما كان بصدده وكتب هذه الفصول المشتملة على حكاية حاله وما جرى عليه.

فصل ٨٥

١٦٣ إن خطر ببالك أنّه ما الذي جرى نوديت من وراء حجب الغيب تأدّب. ما للعميان والسؤال عن حقيقة الألوان فوالذي بيده الملك والملكوت وتحت سلطانه الجبروت لو ظهرت ممّا جرى بيننا ذرّة في عالمكم هذا لتلاشى العرش والكرسيّ فضلاً عن السموات والأرضين.

فصل ٨٦

١٦٤ إيّاك ثمّ إيّاك أن تستشرف للطمع في إدراك تلك المعاني من هذه الألفاظ فتتصرّف فيها بعقلك المزخرف وفطنتك البتراء واقبل منّي هذه النصيحة مجّاناً ولا أراك تقبل وعذرك عندي واضح فلقد شاهدت من ممارسة العلم عجائب لا أستنكر معها

١ ج، م: جوعه؛ ع: حرّة روعه. ٢ (القلم) في ج، ع، م؛ أ: العلم. ٣ ج، ع: للسالكين؛ م: للساكنين.

ذلك لا منك ولا من غيرك من أهل النظر. نعم إن شئت أن تصل إلى حقيقة ذلك الطريق[١] فدع الدنيا النجسة بما فيها من القاذورات للمقبلين إليها والمتوجّهين بهممهم الدنيّة إليها. وأمّا الآخرة فلا تعجّ فيها عبثاً[٢] والعاشق يكفيه بالوقوف درك[٣] الوصول إلى معشوقه عاراً وشيناً لعمري ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾. ولكن أين أنت من قوم نبذوها من وراء ظهورهم فأثنى عليهم القرآن الكريم وقال ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾. فإنّك إذا فعلت ذلك ألحقك الجود الأزليّ والكرم السرمديّ بقلب لا يتعلّق بشيء من الأرض والسموات ولا يشفي غليل صدرك[٤] إلّا حال الذلّ[٥] وهو ماء الحياة.

فصل ٨٧

١٦٥ ما أصدق المثل السائر الكلام يجرّ الكلام فقد انتهى بنا الكلام في النفوس وأحوالها إلى عوالم لا نهاية لعجائبها وبحار لا قيمة لجواهرها فنرجع الآن إلى المطلب المقصود ونستوعب في بيانه غاية المجهود.

١٦٦ ونقول كما أنّ الجسم إذا تحرّك بطبعه إلى حيّز مخصوص فلا بدّ وأن تكون حركة إليه من أقرب الطرق وهو الخطّ المستقيم والذي لا يُتصوّر فيه انحراف أصلاً وهذا معلوم قطعاً بالبرهان اليقينيّ ومشهور عند من[٦] يتصفّ أمثال ذلك فكذلك كلّ نفس من هذه النفوس فإنّها تتحرّك إلى حيّزها الأصليّ وهو المعدن الذي خرجت منه من أقرب الطرق ولا تلتفتّ إلى عوائق تعوقها في الطريق عن الحركة وتمنعها عن الانجذاب فإنّ ذلك غير قادح في غرضنا هذا.

١٦٧ فأشرف النفوس إذا ما يتحرّك إلى الله عزّ وجلّ طبعاً لا تكلّف فيه على الصراط المستقيم الذي هو أقرب الطرق فإن وقف القدر ببعض النفوس في الطريق على شيء

---

١ ج،ع، م: بطريق الذوق. ٢ ج،ع: غبنًا. ٣ ج،ع، م: الوقوف دون. ٤ (صدرك) في ج،ع، م؛ أ: صداه.
٥ ج،ع: جمال الأزل؛ م: جمال الأزليّ. ٦ م: اليقينيّ لمن.

فذلك خارج عن طبيعتها الأصليّة ولا اكتراث[١] بأمثاله. وهؤلاء ما داموا في الطريق فتجدهم أخفّاء الألسنة بقوله ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ كما أخبر عنه في حقّ الخليل خاصّة في القرآن حكاية عنه أنّه قال ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾. ولا شكّ عندك أنّ المغناطيس إذا كان يجذب الحديد إلى نفسه من أقرب الطرق فقد هداه الصراط المستقيم ولمّا كانت هذه النفوس أشرف النفوس كلّها قال الله تعالى في كتابه ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾.

فصل ٨٨

١٦٨ هذه المعاني التي أُودعت في هذه الألفاظ بعيدة جدًّا عن ظواهر مفهوماتها فإنّها وُضعت للدلالة على معان غير هذه المعاني المقصودة بها فمن سمعها فلا بدّ وأن تسبق إلى فهمه عند سماعها مفهوماتها الحاصلة[٢] بها بالضرورة وإنّما يشمّ مبادئ روائحها قليل من فحول العلماء الناظرين.[٣]

١٦٩ وعذري في ذلك واضح فمن أراد أن يُفهِم الأكمه كيفيّة إدراك الألوان أو العنّين حقيقة لذّة الواقع[٤] لم يكن له بدّ من أن يقول إنّ للإنسان معنى يدرك به الأشياء كما يدرك سائر الحواسّ ومع ذلك فتلك المدركات لا تناسب المذوقات والمشمومات والمعقولات والمسموعات وهذا يعسر على الأكمه التصديق به وإن اعترف بلسانه وقال اعتقدت ذلك اعتقادًا يقينيًّا علمنا أنّ اعترافه ذلك إيمان بالغيب وأنّ اعترافه لا بدّ وأن يكون مركّبًا من خيالات فاسدة قد عشّشت في دماغه.

١٧٠ فكذلك إذا قيل لنا إنّ في الآخرة أمورًا لا تناسب المحسوسات ولا المعقولات عسر علينا التصديق بذلك إلّا أن نؤمن بالغيب إيمان الأكمه بالألوان إلى أن يصل

١ (اكتراث) في ج،ع، م؛ أ: الإكرار. ٢ ج،ع، م: الخاصّة. ٣ ج،ع: في العلوم الحقيقيّة. ٤ (لذّة الوقاع) في ج،ع، م؛ أ: الوقاع.

إليها ذوقاً. ولهذا المعنى رأيت الاختصار في ذكر أحوال النفوس وأطوارها أولى ولعلّ القدر اليسير الذي ذكرته كان الأولى أيضاً تركه فإنّ الأكثرين يستبعدون ذلك فينكرونه ويتضرّرون بإنكاره.

فصل ٨٩

١٧١ كأنّك بعقلك الضعيف تبادر إلى التكذيب بقولنا أمور الآخرة لا تناسب المعقول ولا المحسوس وتقول كي ببطلان هذا القول شاهداً حكم العقل بطريق يقينيّ حاصر أنّ الموجود ينقسم إلى المعقول والمحسوس وإن كانت أمور الآخرة موجودة[١] فكيف لقائل أن يقول بأنّها لا تناسب المحسوس ولا المعقول. وعليك الآن أن تصبر صبراً جميلاً حتّى أبيّن لك موضع الخلل في ذلك ثمّ عليك بعد ذلك أن تراجع نفسك وتطالبها بالإنصاف حتّى لا يستولي[٢] عليك في اعتراضها جهل بما تسمع.

١٧٢ فاعلم أنّ الأكمه أيضاً ينحصر عنده الموجودات كلّها في المعقول والمحسوس وكذلك ينحصر عنده من وجوه كثيرة كانحصارها في القديم والحادث والسبب والمسبّب والناقص والكامل ومع ذلك فإذا قيل له إنّ الألوان لا يناسب المعقول ولا المحسوس كانت هذه القضيّة صادقة إذا أردنا بالمحسوس ما يدركه بحواسّه الأربع والأكمه قد يكذّب بها ويقول[٣] إذا كان الوجود بكلّيّته منحصراً في المعقول والمحسوس فكيف يجوز أن لا تكون الألوان محسوسة ولا معقولة مع أنّها موجودة وليس لتكذيبه هذا مستند إلّا أنّه حصر المحسوسات في مدركات الحواسّ الأربع.

١٧٣ فكذلك إذا قلنا أمور الآخرة لا تناسب المحسوس ولا المعقول فكذّب به الجاحدون لم يكن لتكذيبهم مستند أصلاً إلّا أنّهم حصروا المحسوسات في مدركات الحواسّ الخمس وليس ذلك بلازم البتّة وحصر الموجودات كلّها فيما يدرك بالحسّ والعقل أيضاً

١ (موجودة) في ج،ع،م؛ أ: موجلة. ٢ (لا يستولي) في ع؛ أ: لا فصول تستولي؛ ج،م: حتّى لا تستولي. ٣ (بها ويقول) في ج،ع،م؛ أ: بها.

ليس بلازم فكم من شيء يعجز العقل إدراكه ويكون كالوهم إذا عجز عن إدراك كثير من العقليّات الصرفة الغامضة وذلك لا يدلّ على أنّ كلّ ما يدركه الوهم غير صادق وكذلك البصر يدرك المحسوسات ويكون حكمه فيها ينقسم إلى الصادق والكاذب فحكمه بأنّ هذا الجزء مثلاً مقداره كذا حكم صادق وحكمه بأنّ الشمس مقدارها مقدار مجنٍّ وأنّ الكواكب مقدارها مقدار دينار حكم كاذب وليس لذلك مستند إلّا أنّه لا يدرك البعيد كما يدرك القريب.

١٧٤ فكذلك فاعلم يقيناً أنّ حكم العقل بأنّ الله تعالى موجود وواحد وقديم وخالق حكم صادق قطعاً وحكمه بأنّ كلّ موجود فلا بدّ وأن يدركه كأمور الآخرة حكم كاذب قطعاً واعلم بعد ذلك أنّ الله عزّ وجلّ أبعد عن بصيرة العقل من الشمس عن بصيرة الحسّ بدرجات لا تتناهى فلغاية بُعده وكمال إشراقه يستحيل للعقل إدراكه فبصيرة العقل بالإضافة إلى إدراكه كالخفّاش بالإضافة إلى إدراك نور الشمس[١] حيث الشمس فلا يُتصوّر وجود الخفّاش ولا وجود الإنسان من حيث الحقيقة.

فصل ٩٠

١٧٥ الحقّ[٢] أنّ علم الساعة مردود إلى الله كما قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. وليس لك أن تؤمن بشيء من أسرارها أصلاً إلّا إيمان الأكمه بالألوان فتأمّل أوّلاً أنّه كيف ينبغي للأكمه إذا آمن بالألوان من طريق الغيب أن يقطع نظره عن الحواسّ الأربع ومدركاتها حتّى يُتصوّر له أن يؤمن بالغيب من غير تشبيه وتمثيل وطالب بعد ذلك نفسك[٣] بالإيمان حتّى تكون مؤمناً بالغيب وموقناً بالآخرة كما قال تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. فإن لم تجد نفسك متحلّية بمثل هذا الإيمان فاعلم أنّ الشيطان قد جوّلك[٤] ودلّاك بحبل غروره.

---

١ زائدة في ع، م: وبصيرة العارف بالإضافة إلى إدراكه كالإنسان بالإضافة إلى إدراك قرص الشمس. أضاف ج هناك: وكالإنسان بالإضافة إلى قرص الشمس. ٢ زائدة في ج،ع، م: الذي لا شكّ فيه. ٣ زائدة في ج،ع، م: بمثل هذا.
٤ (جوّلك) في ج؛ أ: حولق؛ ع: حولقك؛ م: جولقك.

فصل ٩١

١٧٦ ينبغي لك أن تتأمّل تأمّلاً شافياً إن كنت من أهل الطلب فيما وظّفته عليك من شروط الإيمان بالغيب وتكرّر فيه نظرك مرّة بعد أخرى حتّى يصير التصديق بالغيب لك طبعاً بحيث لا تحتاج معه إلى النظر في المقدّمات وحينئذ يصير باطنك شديد الاستعداد لأن يفيض عليه من الله عزّ وجلّ نور يثمر انشراح الصدر وسعة الحوصلة كما قال تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. ومهما انشرح صدرك للإيمان بالغيب فاض على باطنك نور لم تكن شاهدتَ مثله قبل ذلك فاعلم أنّ ذلك أثر من آثار الطور الذي يظهر[١] بعد طور العقل فاستوعب جهدك في الطلب فإنّه يكفيك في الوجدان فمن طلب وجدّ وجد وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود من طلبني وجدني ومن يطلب غيري لم يجدني. وهذا يلزم منه بطريق البرهان أنّ من طلبه لا يُتصوّر منه طلب غيره. وإلى مثل ذلك يشير قوله عليه السلام من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له.

فصل ٩٢

١٧٧ مدركات هذا الطور تنقسم بوجه من الوجوه إلى ما نسبته إليه نسبة الأوّليّات إلى العقل وإلى ما نسبته إليه نسبة الغوامض النظريّة التي لا تدرك إلّا بتوسّط إليه أعني العقل وهذه القضيّة عسير إدراكها صعب منالها فلا تطمع في الوصول إليها واجتهد أن تصدّق بها تصديقك بالغيب لعلّ الله يرزقك بالوصول إليها فتستغني بالذوق عن السماع.

١ (الطور الذي يظهر) في ج، ع، م؛ أ: الظهور الذي.

فصل ٩٣

١٧٨ مدركات هذا الطور أسرار على العلم التميزيّ وعلى العقل الإنسانيّ كما أنّ مدركات البصر أسرار على حاسّة الشمّ ومدركات الوهم أسرار على قوّة الخيال والحفظ ومدركات اللمس أسرار على قوّة السمع والذوق والأوّليّات أسرار على الحواسّ كلّها والتحقيق في ذلك أنّ السرّ والعلانية اسمان إضافيّان فربّ شيء هو سرّ على مدرك وهو علانية بالإضافة إلى مدرك آخر فالأوّليّات علانية عند العقل وأسرار عند الحواسّ وأكثر ما يطلق عليه اسم السرّ في لسان الشرع وعلى ألسنة الصوفيّة فهو سرّ عند العقل الإنسانيّ وسرّ على الحروف والأصوات وكلّ ما لا يُتصوّر عنه العبارة فهو سرّ على العبارة. ولهذا المعنى قال عليه السلام إذا ذُكر القدر فأمسكوا يعني أنّ القدر سرّ على الكلام البشريّ والنطق الإنسانيّ فلا يُتصوّر عنه العبارة أصلاً. ولذلك قال سهل التستريّ رحمة الله عليه الكلام في القدر عند المخالف بدعة. وتحقّق هذا الفصل فإنّك تحتاج إليه فيما بعد.

فصل ٩٤

١٧٩ أمور القيامة كلّها أسرار على العلم الإنسانيّ فلا يُتصوّر أن يحيط بها أحد ما دام في الدنيا ولم يتخلّص عن أسر الوهم وتغليط الخيال. وقول الكفّار ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سؤال عن شيء يستحيل الجواب عنه على موجبه فإنّ أمر الساعة إذا كان ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ وكان متى سؤالاً عن الزمان استحال جواب السائل عنه وهو كقول الأكمه إذا وصفنا له المبصرات المتلوّنة فقال كيف تُذاق هذه المبصرات أو كيف تُشمّ هذه المبصرات فالجواب الحقّ في ذلك أن نقول العلم بالمبصرات عند البصير فإن تخيّل شيئاً في معنى ما وصفناه وحكيناه له على سبيل المقايسة أخطأ فيه بالضرورة.

١٨٠ فإذًا الجواب الحقّ مع الكفّار إذا قالوا ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أن يقال لهم العلم في ذلك عند الله. فمن رجع إلى الله تعالى وحُشر إليه كان عنده فلا بدّ وأن يعرف حينئذ حقيقة الساعة بالضرورة لأنّه ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. فإذًا بالضرورة لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله كما أخبر عنه سيّد الأوّلين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه. فإنّ من كان بعد على وجه الأرض لم يُحشر بعد إلى الله عزّ وجلّ فإذا من كان ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، فقد قامت له القيامة. وكذلك المجرمون وإن كانوا ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾، فإنّ القيامة في حقّهم قائمة لأنّهم عند ربّهم. ولعلّ من يقول أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني يصدّق منه أن يقول بُعثتُ والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني فسبقتها أنا.

١٨١ واعلم أنّ الساعة من داخل حجب السماوات والأرض ومنزلتها من تلك الحجب منزلة الجنين من رحم أمّه ولذلك لا تقوم إلّا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وانشقّت السماء وانتثرت الكواكب وكُوّرت الشمس وسُيّرت الجبال وعُطلّت العشار و﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾. وعلى الجملة ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾. فما دام السالك خارج حجب الأرض والسموات فلا تقوم له القيامة وإنّما كانت القيامة داخل الحجب لأنّ الله عزّ وجلّ داخل الحجب ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

١٨٢ فقوله عليه السلام لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلّا الله معناه أنّ الرجل ما دام خارج الحجب فالقيامة سرّ على علمه فإذا قطع في سلوكه تلك الحجب وتبحبح في حضرة العنديّة صار سرّ القيامة عنده علانية ولهذا السبب لم يجز أن يرى الله عزّ وجلّ في الدنيا أحد أصلاً لا نبيّ ولا وليّ وأمّا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإنّما رآه بعد أن قطع الحجب ليلة المعراج. ولمّا قيل لموسى عليه السلام ﴿أَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ لا جرم لمّا طلب الرؤية قيل ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾. واعلم أنّ محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم إنّما كانت القيامة عنده علانية حين قطع حجب السماوات والأرض ونفذ من

أقطارها فلمّا رجع إلى مستقرّه من خارج الحجب كان ذلك العلم عنده سرًّا كما كان قبل ذلك وإنّما كانت علانية له من وراء الحجب.

١٨٣ وعلى الجملة فالسرّ سرّ أبدًا حيث هو سرّ والعلانية علانية أبدًا حيث هي علانية لا يتغيّران إلّا بتغيّر أحوال السالكين. وإلى مثل ذلك أشير بقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾. أي إن كان سرّ القيامة علانية لك ليلة المعراج فما الذي بقي على ذكرك وعلى علمك ومن تصرّف ببضاعة العقل في هذه الألفاظ فقد ظلم نفسه. وإيّاك يا مسكين أن تدع خاطرك يحوم حول التكذيب بذلك أو التشكّك فيه فتكفر بما أنزل الله على أنبيائه فلولا أنت وأمثالك من العميان لما خُوطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

فصل ٩٥

١٨٤ فإن قلت فهل تقول إنّ كلّ عاقل فلا بدّ وأن يصل إلى الطور الذي وراء العقل كما أنّ كلّ طفل رضيع فلا بدّ وأن يصل إلى طور التمييز إذا كان وقته فاعلم أنّ الأطوار كثيرة ولا بدّ أن يصل كلّ واحد إلى طور ما وراء العقل وإن كان بعد الموت فأمّا أن يصل الكلّ إلى الأطوار الممكنة في حقّ البعض فلا يجوز لا بل الواجب الحقّ أن يصل واحد من الخلق إلى أطوار كثيرة وراء العقل وهو بعد في دنياه غير متجرّد عن جلباب قالبه ولا يُتصوّر لغيره الوصول إلى أكثرها لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا حقّ وصدق يشاهده العارفون ببصائرهم[1] كما يشاهد العقل أنّ العشرة أكثر من الواحد. والغالب على من لم يُقدّر له الوصول إلى الطور المشار إليه أن يصرّ على التكذيب بوجوده ويموت عليه إلى أن ينكشف عنه الغطاء كما أشار إليه القرآن في حقّ الكفّار حيث قال ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

١ (أكثرها لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا حقّ وصدق يشاهده العارفون ببصائرهم) في ج، ع، م؛ أ: أكثرها لأبصارهم.

ومن كان حاله التصديق بأمثال ما حكيناه طبعاً من غير تكلّف فلا بدّ وأن يكون رُزق من ذلك شيئاً.

فصل ٩٦

١٨٥ لا شكّ أنّ العاقل يستدلّ بمشاهدة كلّ بدن على نفسه كما يستدلّ بمشاهدة بدن الفرس والحمار والقرد والبعير والإنسان على تفاوت الأنفس المتصرّفة في تلك الأبدان ويسهل عليه إدراك الفرق بين الأبدان التي هي بعد في تصرّف نفوسها وبين الأبدان التي فارقتها نفوسها بالموت فكذلك فاعلم يقيناً أنّ العقل الإنسانيّ للصور التي[1] وراءه بمنزلة البدن للنفس والعارفون الكاملون في المعرفة يستدلّون بمشاهدة قوالب العقول على تفاوت أرواح الأطوار الكامنة فيها كمون النار في الحجر ويسهل عليهم إدراك الفرق بين عقل عبيّ فيه أطوار كثيرة وبين عقل لا شيء فيه من تلك الأطوار بل هو كقالب انقطع عنه تصرّف النفس.

فصل ٩٧

١٨٦ إذا أخذ في وداعك الطمع البارد الذي يستولي على النظّار العلماء في الوقوف على حقائق جميع الأشياء تجلّى لك حقيقة قوله عليه السلام عليكم بدين العجائز. فاعلم أنّ صبح هذا الطور[2] قد تنفّس كما أنّ ابن المهد إذا صار بحيث يدرك الأوّليّات العقليّة فقد طلع له صبح عقله. واعلم أنّ مثل العلماء في طمعهم ذلك مثل رجل شهد الميزان الذي يُوزن به الذهب فطمع في أن يزن به جبلاً مثلاً وذلك محال وهذا لا يدلّ على أنّ الميزان ليس بصادق في أحواله وأحكامه.

---

١ ج،ع،م: للطور الذي. ٢ (الطور) في ج،ع،م؛ أ: الصبح.

١٨٧ واعلم أنّ العقل ميزان صحيح وأحكامه صادقة يقينيّة لا كذب فيها وهو عادل لا يُتصوّر عنه جور أبداً ومع ذلك فإذا طمع العاقل أن يزن به كلّ شيء حتّى أمور الآخرة وحقيقة النبوّة وحقائق الصفات الأزليّة كان ذلك طمعاً منه في محال.

١٨٨ واعلم أنّ هذا الطمع ينمحق قليلاً قليلاً عند إشراق نور الطور الذي وراء العقل كما أنّ نور الكواكب ينمحق قليلاً قليلاً عند طلوع الصبح. وفرق بين أن يودّعك[١] الطمع اضطراراً وبين أن تودّعه أنت[٢] اختياراً وهذا مزلّة القدم فخذ منها حذرك فوداع هذا الطمع ليس إلى اختيارك حتّى تودّعه متى شئت بل هو موقوف على طلوع الصبح المشار إليه وأنت مضطرّ فيه شئت أم أبيت فانمحاق هذا الطمع بالكلّيّة موقوف على إشراق نور الشمس.

فصل ٩٨

١٨٩ إذا صرت بحيث يقلّ الشكّ[٣] بإدراك الغوامض العقليّة من طرق البراهين الصادقة القطعيّة حتّى يكون أنسك به أنس النظّار مثلاً المتبحّرين في حقائق العلوم بإدراك المسائل المظنونة فلعلّ وقتك هذا وقت الإسفار فلازم سلوك الطريق فلعلّ الشمس تطلع لك فتشاهد جمال الفطرة المذكورة في قوله تعالى ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾. وحينئذ تنفكّ رقبتك من أسر الزمان والمكان ويصير تحت قدمك كلّ ما كان عليه وَضَر الحدثان وعند ذلك تبذل لك خلعة الاجتباء ويكون ذهابك إلى الله طبعاً لا تكلّف فيه كما قال عليه السلام أنا وأتقياء أمّتي براء من التكلّف.

١ (يودّعك) في ج، ع؛ أ، م: يودّ عليك. ٢ (يودّعك) في ج، ع؛ أ، م: يودّ عليك. ٢ ج، ع، م: أنسك.

فصل ٩٩

١٩٠ إذا أُوتيت رشدك وبرزت لك الأمانة من خدرها وهي الخزانة النبويّة فنفذت ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ واستدار لك الزمان كهيأة يوم لا يوم بعده فحينئذ تطلع شمسك ويحسد غدك أمسك وتوجّه وجهك لفاطر السماوات والأرض وتُقبل في مناهل الحيّ القيّوم على شرب ماء الحياة وتخرق الآن من قلبك خرقًا إلى ربّك وهو طريق طيرانك إلى الأزل فلا تزال شموس الأزليّة تشرق عليك متى شئت.

١٩١ وأقلّ علامات الإشراق أن تتلاشى فيه إذ يستحيل للعاشق أن يصل إلى معشوقه إلّا بعد تلاشيه فلا تظنّنّ أنّ الوصول يحتمل زحمة وجودك[1] وهذا لا يُتصوّر بيانه فإنّه يجاوز حدود العلم والعقل.

فصل ١٠٠

١٩٢ فهذه تسعة وتسعون فصلاً وقد أكملتها بهذا الفصل المائة ونعمت عُدّة للطالب إذا سلك طريق العلم وحصل منها مقصوده فلم تقف به همّته العليّة بل طالبته بالطلب لما وراء ذلك نفسه الزكيّة فهذا هو القدر الذي أمكنني العبارة عنه ممّا انكشف لي بعد الفراغ من تحصيل العلم.[2]

الخاتمة

١٩٣ اعلم أنّ هذا الكتاب قليل الجدوى إلّا لمن أطال نظره في الحقائق وكثّر تعبه في طلبها حتّى تبحّر فيها ثمّ لا يكفيه ذلك إن لم يجد نفسه متشوّقة إلى شيء آخر وراء العلم والعقل فمن لم يكن في باطنه هذا التشوّق فليعاود مطالعة هذا الكتاب مرّة بعد

١ ع: زحمة الوجود. ٢ زائدة في ج: بالله وبما سواه هَذا جِنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ: زائدة في ع، م البيت فقط.

أخرى فالغالب أنّه يظهر ذلك فيه. وإن شغلته صفة مذمومة عن التكرار في مطالعته لم يظفر به والصفات المانعة عن ذلك كثيرة والوقت لا يتّسع لشرحها فقد غشيني الملال.

١٩٤ وهذا عذري في كلّ فصل لم أوفّه حقّه في استيفاء المقدّمات التي يتعلّق النظر في ذلك الفصل بها فقد صدّني عن ذلك انجذاب القلب إلى ما هو أهمّ منه بكثير نعم وقد أمليت ذلك بجماعة لم أر بهم حاجة إلى ما وراء ذلك من المقدّمات فأوجزت القول لهذين المعنيين.

١٩٥ ومن طمع أن يحيط حقّ الإحاطة بحقائق المعاني المذكورة في هذه الفصول بمجرّد مطالعته مرّة أو مرّتين أو أكثر فقد طمع في محال إنّما وحقّ لمن يتصفّحها أن يكبّ طول الليل والنهار على ترديد هذا النظر وتكرير التأمّل فيها حتّى تعلّق كلّ كلمة على خيالها بحفظه ثمّ يصير مايتفهّمه منها بذرًا لفهمه الحقيقيّ ولا يتأتّى ذلك إلّا بكثرة الممارسة والصبر عليها على تعاقب الليل والنهار ومهما لم تكن أرض القلب سبخة فلا بدّ وأن يقع وقوع هذه المعاني وقوع البذر في الأرض الطيّبة النقيّة ويثمر له ذلك عن قريب إن أحسن القيام على تعهّده بسقي الماء في وقته وحفظه عن الآفات العارضة لأمثاله وغير ذلك فمن وجد في نفسه[1] نفرة عن الصبر على ذلك أو لم يكن بالصفة المذكورة في العلم النظريّ فليهجر مطالعة هذا الكتاب فلكلّ عمل رجال وكلّ ميسّر لما خلق له وما أنصف القائل حيث قال [وافر]

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا[2] فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

١٩٦ فقوّة كلّ طائر على قدر حوصلته ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾. وهل رأيت الكنّاس قطّ يزاحم الملوك في سلطانهم[3] [متقارب]

فَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ ٱلْفَتَى ... عَلَى قَدَرِ ٱلرِّجْلِ فِيهِ ٱلْخُطَى

١ (نفسه) في ج، ع، م؛ أ: صبره. ٢ (أمرًا) في ج، ع، م؛ أ: شيئًا. ٣ زائدة في ج، ع، م: هيهات هيهات.

١٩٧ والحمد لله الذي تتمّ الحاجات الصالحات[١] بنعمه وتدلّ[٢] ذرّات الوجود[٣] على علمه وقدرته وحكمته[٤] والصلاة على رسوله الذي طلعت شمسه على الآفاق فأشرقت بنورها غاية الإشراق محمّد خير الخلائق المستمرّ على أحمد الطرائق وعلى آله مصابيح[٥] الهدى وينابيع الجود والندى[٦] وعلى أصحابه[٧] الذين هم كالنجوم الزاهرات وأزواجه الطيّبات الطاهرات.

١ ج: تتمّ الصالحات؛ ع، م: يتمّ الصالحات. ٢ (تدلّ) في ع: أ، ج، م: تتمّ. ٣ م: الموجودات. ٤ ساقطة من م. ٥ م: وأصحابه. ٦ ع: الذرى. ٧ (وعلى أصحابه) ساقطة من م.

Library of Arabic Literature

General Editor
Philip F. Kennedy, New York University

Executive Editors
James E. Montgomery, University of Cambridge
Shawkat M. Toorawa, Yale University

Editorial Director
Chip Rossetti

Assistant Editor
Lucie Taylor

Editors
Sean Anthony, The Ohio State University
Huda Fakhreddine, University of Pennsylvania
Lara Harb, Princeton University
Maya Kesrouany, New York University Abu Dhabi
Enass Khansa, American University of Beirut
Bilal Orfali, American University of Beirut
Maurice Pomerantz, New York University Abu Dhabi
Mohammed Rustom, Carleton University

Consulting Editors
Julia Bray Michael Cooperson Joseph E. Lowry
Tahera Qutbuddin Devin J. Stewart

Digital Production Manager
Stuart Brown

Paperback Designer
Nicole Hayward

Fellowship Program Coordinator
Amani Al-Zoubi

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Copyright © 2022 by New York University
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Names: ʻAyn al-Quḍāh al-Hamadhānī, ʻAbd Allāh ibn Muḥammad, -1131, author. | Rustom, Mohammed, editor, translator. | ʻAyn al-Quḍāh al-Hamadhānī, ʻAbd Allāh ibn Muḥammad, -1131. Zubdat al-ḥaqāʾiq.
Title: The essence of reality : a defense of philosophical Sufism = Zubdat al-ḥaqāʾiq / ʻAyn al-Quḍāt ; edited and translated by Mohammed Rustom.
Other titles: Zubdat al-ḥaqāʾiq. English | Zubdat al-ḥaqāʾiq
Description: New York : New York University Press, 2022. | Includes bibliographical references and index. | In English and Arabic; translated from Arabic. | Summary: "The Essence of Reality consists of one hundred brief chapters interspersed with Qur'anic verses, prophetic sayings, Sufi maxims, and poetry. The book takes readers on a philosophical journey, with expositions of questions including the problem of the eternity of the world; the nature of God's essence and attributes; the concepts of "before" and "after"; and the soul's relationship to the body"-- Provided by publisher.
Identifiers: LCCN 2021056520 | ISBN 9781479816590 (cloth) | ISBN 9781479816613 (ebook) | ISBN 9781479816620 (ebook)
Subjects: LCSH: Sufism--Early works to 1800. | God (Islam)--Early works to 1800.
Classification: LCC BP188.9 .A92513 2022 | DDC 297.401--dc23/eng/20211208
LC record available at https://lccn.loc.gov/2021056520

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.